

الأمم المتحدة

مجلة

المجلد الثامن عشر
الجزء العاشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

الجديد

تابعوا ...

ظهرت

NEW & EXCLUSIVE

WWW.ALUKAH.NET

(المجلد الثامن عشر)

٧٢١

(الجزء العاشر)

يقضي الحكمة من يتناه ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراء كمنار الطريق »

مصر ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٣ — ١٥ المقرب (خ ٢) ١٢٩٤ هـ ش ٨ نوفمبر ١٩١٥

خلاصة سورة المائدة

انفردت هذه السورة بعدة مسائل في أصول الدين وفروعه وبتفصيل عدة أحكام اجملت في غيرها اجمالاً ، وأكثرها في بيان شؤون أهل الكتاب ومحتاجهم . ونحن نذكر قارئاً تفسيرنا بختصارها مراعين مناسبة بعض المسائل لبعض لا ترتيب ورودها في السورة ، وجعلنا ذلك على قسمين :

القسم الأول ماهو من قبيل الاصول والقواعد الاعتقادية أو العملية ﴿

(١) أهم الاصول التي انفردت بها السورة ، بيان إكمال الله تعالى للمؤمنين دينهم الذي ارتضى لهم بالقرآن ، وإتمام نعمته عليهم بالاسلام . (راجع ص ١٥٤ - ١٦٧ ج ٦) (*)

(٢) النهي عن سؤال النبي (ص) عن أشياء من شأنها أن تسوء المؤمنين إذا أبديت لهم لما فيها من زيادة التكاليف مثلاً (راجع ص ١٢٥ - ٢٠٩ ج ٧) وقد علم من الآيات التي نزلت في هاتين المسألتين المتلازمتين ان كل حكم ديني من اعتقاد أو عبادة أو حلال أو حرام لم يدل عليه النص دلالة صريحة ولم تمض به السنة العملية من عهد النبي (ص) فليس من الدين الذي هو حجة الله على كل من بلغتهم دعوة الرسول بحيث يطالبون به في الدنيا ويستألون عنه في الآخرة ، كما فصلنا ذلك في تفسيرهما مع بيان الفرق بين الاحكام الدينية والدينية . وأما ما دل عليه الكتاب أو السنة دلالة غير صريحة - ومنه أكثر ما اختلف أئمة العلم في دلالة - فهو حجة على من فهم منه الحكم لا على كل أحد كما بيناه في تفسير آية تحريم الخمر (٣) بيان ان هذا الدين مبني على العلم اليقيني في الاعتقاد والهداية في الاخلاق والاعمال ، وان التقليد باطل لا يقبله الله تعالى ، كما هو صريح الآية ١٠٧ (راجع ص ٢٠٥ ج ٧) وتقدم مثلها في سورة البقرة

(٤) بيان ان أصول الدين الإلهي على السنة الرسل كلهم هي الايمان بالله

(*) الإشارة بحرف ج لأجزاء التفسير المطبوع على حديثه لا لأجزاء المنار

واليوم الآخر والعمل الصالح فن اقامها كما أمرت الرسل من اية ملة - من ملل الرسل كاليهود والنصارى والصابئين - فلم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون (ص ٤٧٦ ج ٦) وتقدم مثل ذلك في سورة البقرة

(٥) وحدة الدين واختلاف شرائع الانبياء ومناهجهم فيه

(٦) هيمنة القرآن على الكتب الالهية (ص ٤١٠ ج ٦)

(٧) بيان عموم بعثة النبي (ص) وأمره بالتبليغ العام وكونه لا يكلف من حيث كونه رسولا الا التبليغ ، وان من حجج رسالته انه بين لأهل الكتاب كثيرا مما كانوا يخفون من كتبهم وهو قسمان (أحدهما) ماضع منه قبل بعثة النبي (ص) بناء على الاصل المبين في هذه السورة وهو أنهم نسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به بانزاله فيها (وثانيهما) ما كانوا يكتُمونه من الاحكام اتباعا لاهوائهم مع وجوده في الكتاب كحكم رجم الزاني ، وقد بينا كلا من القسمين في موضعه من هذه السورة. ولولا ان مجيها الامي مرسل من عند الله لما علم شيئا من هذا ولا ذلك

(٨) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس أن يضره أو يقدروا على صده عن تبليغ رسالة ربه. وهذا من دلائل نبوته (ص) أيضا فكم حاولوا قتله فأعيامهم وأعجزهم (ص ٤٧٣ ج ٦)

(٩) بيان ان الله أوجب على المؤمنين اصلاح أنفسهم أفرادها وجماعتها ، وانه لا يضرهم من ضل من الناس اذا هم استقاموا على صراط الهداية ، أي لا يضرهم ضلاله في دنياهم لان الله تعالى لا يجعل له سبيلا عليهم ، ولا يضرهم في أمر دينهم وآخرتهم لأن الله تعالى لم يكلفهم إكراه الناس على الهدى والحق ، ولا ان يخلقوا لهم الهداية خلقا ، وانما كلفهم ان يكونوا مهتدين في أنفسهم باقامة دين الله تعالى في الاعمال الفردية والمصالح الاجتماعية ، ومنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١٠) تأكيد وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما بينه الله تعالى من لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم وتعليقه ذلك بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

(١١) نهي الحرج من دين الاسلام (ص ٢٥٨ و ٢٦٩ ج ٦)

(١٢) تحريم الغلو في الدين والتشدد فيه ولو بتحريم الطيبات وترك التمتع بها، وتحريم الخبائث والاعتداء والاسراف في الطيبات (ص ٤٨٨ ج ٦ و ١٧٠ - ٣٣٢ ج ٧) (١٣) قاعدة إباحة الاضطرار للمحرم لذاته فيما يضطر اليه كالطعام، ومنه أخذ

الفقهاء قولهم: الضرورات تبيح المحظورات (راجع ص ١٦٢ ج ٦)

(١٤) قاعدة التفاوت بين الخبيث والطيب وكونهما لا يستويان في الحكم كما انهما لا يستويان في أنفسهما وفيما يترتب عليهما. وهذا أصل عظيم من أصول التحليل والتحريم في الطعام وغيره يدل على تعليل الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح، وعلى عدم استواء جزاء الخبيث والطيب من الناس عند الله عز وجل (ص ١٢٢ ج ٧) وما كان تعليل الاحكام وبيان حكمتها وفائدتها الا لاجل توخيها - كاحكام الطهارة وتحريم الخمر والميسر وبعض الطعام واحكام الوصية والشهادة وإقسام الشهداء اليمين - وانك لتجد الذين يجهلون ذلك لا عرضهم عن حكم القرآن وأسرار السنة قد جعلوا أمر الوضوء والغسل تعديا محضا لا يستلزم النظافة فعلا ولا قصدا، وزعموا ان تحريم الخمر تعدي لا يدل على تحريم كل مسكر بناء على رأيهم ان الخمر ما كان من عصير العنب خاصة، فإ القول في فهمهم لسائر الاحكام

(١٥) تحريم الاعتداء على قوم بسبب بغضهم وعداوتهم، لانه يجب على المؤمنين أن يلتزموا الحق والعدل ولا يكونوا كأهل السياسة المدنية (ص ١٢٨ و ٢٧٤ ج ٦)

(١٦) وجوب الشهادة بالقسط والحكم بالعدل والمساواة بين غير المسلمين كالمسلمين ولو للاعداء على الاصدقاء وتأكيده وجوب العدل فيها وفي سائر الاحكام والاعمال (ص ٢٧٦ و ٢٧٣ و ٣٩٤ و ٤١٢ و ٤٢٠ ج ٦)

(١٧) الامر المطلق العام في أول السورة بالوفاء بالعقود التي يتعاقد الناس عليها في جميع معاملاتهم الدنيوية من شخصية ومدنية، وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة الاسلامية، وهي ان الله تعالى وكل أمر العقود التي يتعاملون بها الى عرفهم ومواضعاتهم لانها من مصالحهم التي تختلف باختلاف الاحوال، فلم يقيدهم في أحكامها وشروطها بقيود دائمة الا ما أوجبه الشرع مما لا يختلف باختلاف

٧٤٠ خلاصة سورة المائدة [المنار: ج ١٠ م ١٨]

- الإحوال والعرف كتحريم أكل أموال الناس بالباطل كالربا والقمار ، فكل عقد يتعاقد عليه الناس لم يحل حراما ولم يحرم حلالا مما ثبت بالنص فهو جائز
- (١٨) إيجاب التعاون على البر والتقوى ومنه تأليف الجماعات الخيرية والعلمية وتحريم التعاون على الأثم والعدوان
- (١٩) بيان ان الله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس في أمر دينهم ودنياهم، فهو جعل تكويني باعتبار شرعي باعتبار آخر، وهو يدل على علمه الواسع، المحيط بالأشياء والحكم والمصالح والمنافع
- (٢٠) مسألة موالاة المؤمنين للكافرين وبيان أن من آيات النفاق ومرض القلب المسارعة في موالاة الكافرين من دون المؤمنين خوفا ان تدور الدائرة على المؤمنين فتكون لهم يد عند أعدائهم يستفيدون بها منهم (ص ٤٢٣ ج ٦)
- (٢١) تفصيل أحكام الوضوء والغسل والتيمم مع بيان ان الله تعالى يريد ان يطهر الناس ويزكهم بما شرعه لهم من أحكام الطهارة وغيرها ، وشمول الطهارة في آية الوضوء لطهارة الظاهر والباطن . وهذا يدل على أن أحكام الطهارة كلها معقولة المعنى كما أشرنا اليه في المسألة الرابعة عشرة ، فيجب ان يتحرى بأداء ما ورد به الشرع ما تتحقق به الحكمة منه ، ويدل على أن الوسوسة في الطهارة مذمومة مخالفة لنص الشرع ومقصده
- (٢٢) تفصيل أحكام حلال الطعام وحرامه وما حرم منه لكونه خبيثا في ذاته كالميتة وما في معناها والخنزير وما حرم لسبب ديني كالذي يذبح للأصنام
- (٢٣) تحريم الخمر وهو كل مسكر والميسر وهو الفهار ومنه ما يسمى في عرف الناس اليوم بالمضاربات
- (٢٤) أحكام محرمات الاحرام
- (٢٥) تفصيل أحكام الصيد للحل والحرم في أوائل السورة وأواخرها
- (٢٦) حدود المحار بين الذين يفسدون في الارض ، ويخرجون على أئمة العدل ، وحد السرقة ، وما يتعلق بالحد كسقوطه بالتوبة بشرطه
- (٢٧) أحكام الايمان وكفارتها وإيمان الامناء والشهود

(٢٨) تأكيد أمر الوصية قبل الموت وأحكام الشهادة على الوصية وفي قضاياها وشهادة غير المسلم على المسلم ، والفرق بين الشهادة والاشهاد . وإنا بعد الاطالة في تفسير الآيات في الوصية والشهادة فيها لخصنا مسائلها في ١٥ مسألة

(٢٩) الامر بالتقوى في عدة آيات من هذه السورة تدخل في جمع الكثرة ، لان صلاح أمور الدنيا والدين يتوقف على التزامها ، وأما يرجى بتكرار الامر بها في كل سياق بحسبه

(٣٠) بيان تفويض أمر الجزاء في الآخرة الى الله تعالى وحده كما حكاه سبحانه من قول المسيح في ذلك اليوم مقرونا بتعليقه ودليله ، وكون النافع في ذلك اليوم هو الصدق في الظاهر والباطن ، جعلنا الله من أهله

﴿ القسم الثاني ماورد من الاخبار والحجاج والاحكام ﴾

(في شان أهل الكتاب)

من الآيات في هذا القسم ما نزل في شأن أهل الكتاب عامة ، ومنه ما هو في أحد الفريقين خاصة . فمن المشترك وصفهم بالغلو في دينهم المستلزم للتعصب الضار ، واتباعهم أهواء من ضل قلوبهم من الوثنيين وغيرهم ، وبالغرور في دينهم وزعمهم انهم أبناء الله وأحباؤه ، وبأنهم مع ذلك نقضوا ميثاق ربهم ، ونسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به على السنة أنبيائهم ، ولم يقيموا التوراة والانجيل كما أوجب الله عليهم ، وقد فندد دعواهم أنهم أبناءه وأحباؤه بما يأتي ذكره قريبا وبين الله لهم حقيقة الامر وهي أنهم بشر ممن خلق الله ، لا مزية لهم على سائر البشر في انفسهم وذواتهم ، لان البشر انما يمتاز بعضهم على بعض بالعلوم الصحيحة والاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة ، لا بالنسب والاتباء الى الانبياء والصالحين وان كانوا مخالفين لهم في هدايتهم وذكر من جزائهم على سوء أعمالهم في الدنيا إلقاء العداوة والبغضاء بينهم ، وأنه يعذبهم في الدنيا بذنوبهم الشخصية والقومية كغيرهم ، وان ذلك يدحض دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ودعاهم كافة الى الاسلام ، والايمان بخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، الذي بين لهم حقيقة دينهم الذي كان عليه سلفهم ، ودحض ما زادوا فيه

بالبرهان، وبين بعض ما كانوا يخفون أو يجهلون منه أحسن بيان
ووصف التوراة والإنجيل أحسن وصف، وذكر من أخبار التوراة قصة ابني
آدم بالحق، ومن أحكامها عقوبات القتل واتلاف الاعضاء والجروح، ومن أخبار
الإنجيل والمسيح ما هو حجة على الفريقيين، وبين ان الكتابين أنزلا نورا وهدى
للناس، وانهم لو كانوا أقاموها لكانوا في أحسن حال، ولسارعوا الى الايمان بما
أنزله الله على خاتم رسله مصدقا لأصلهما، ومينا لما طرأ عليهما، ومكملا لدين
الانبياء جميعا، على سنة الله في النشوء والارتقاء، التي هي أظهر في البشر منها في
سائر الاشياء، ولكنهم اتخذوا الاسلام هزوا ولعبا في جهلته وفي صلاته، ووالوا عليه
المناصين له من أعدائه، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم لذلك

ومما جاء في اليهود خاصة نعياء عليهم وبيانا لسوء حالهم - انهم نقضوا ميثاق الله
الذي أخذه عليهم في كتابهم ونسوا حظا عظيما مما ذكروا به، وحرفوا الكلم عن
مواضعه، وتركوا الحكم بالتوراة وأخفوا بعض أحكامها، وحكموا الرسول ولم يرضوا
بحكمه الموافق لها، وان من صفاتهم الغالبة عليهم قساوة القلب، والخيانة والمكر،
والكذب وقول الأثم، والمبالغة في سماع الكذب وأكل السحت، والسعي بالفساد في
الارض، وفي ايقاد نار الفتن والحرب، وانهم كانوا يقتلون الانبياء والرسل بغير حق،
وتمردوا على موسى اذ أمرهم بدخول الارض المقدسة وقتال الجبارين فعاقبهم الله
بالتيه في الارض، وانهم كانوا أشد الناس عداوة للمؤمنين، حتى انهم يوالون عليهم
المشركين، بسبب ما ورثوه من تلك الصفات عن الغابرين. وذكر انه عاقبهم على
ذلك كله باللعن على السنة الرسل، وبالغضب والمسح، وهذه الصفات التي غلبت
عليهم في زمن البعثة وقبله تثبتها تواريخهم وتواريخ غيرهم، ومن المعلوم انها لم تكن
عاملة فيهم ولا شاملة لجميع أفرادهم، فقد أنصفهم الحكم العدل في هذه السورة وغيرها
بالحكم على الكثير منهم أو أكثرهم، ومنه قوله في هذه السورة (منهم أمة مقصدة
وكثير منهم ساء ما يعملون) وبيننا في الموضوع ما كان بعد النبي (ص) من مساعدة
اليهود للمسلمين في الشام والاندلس

ومما جاء في النصارى خاصة انهم نسوا - كاليهود - حظا مما ذكروا به،

وأهم قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ، ورد عليهم هذه العقيدة بالادلة العقلية وبراءة المسيح منها ومن منتحلها يوم القيامة ، وبين لهم حقيقة المسيح وانه عبد الله ورسوله وروح منه ، وما أيده به من الآيات ، وحال حواريه وتلاميذه في الايمان . وبين أنهم أقرب الناس مودة للمؤمنين ، (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) فليراجع تفسير ذلك في أول الجزء السابع

وجملة الآيات الواردة في أهل الكتاب تشهد لنفسها أنها من عند الله تعالى لا من عند محمد بن عبد الله العربي الأمي الذي لم يقرأ شيئاً من تلك الكتب ، على ان تلك الآيات ليست موافقة لها ولهم موافقة الناقل للمنقول عنه ، وانما هي فوق ذلك تحكم لهم وعليهم وفيهم وفي كتبهم حكم المهيمن السميع العليم

أحكام السورة الخاصة بأهل الكتاب

لو كان هذا القرآن من وضع البشر لشرع معاملة أهل الكتاب الموصوفين بما ذكر — ولا سيما الذين ناصبوا الاسلام العداء عند ظهوره — بأشد الاحكام وأقساها. ولكنه تنزيل من حكيم حميد، أمر في هذه السورة بمعاملتهم بالعدل ، والحكم بينهم بالقسط ، وحكم بكل مؤاكتهم ، وتزوج نسائهم ، وقبول شهادتهم ، والعتق والصفح عنهم ، وهذه الاحكام التي شرعت هذه المعاملة الفضلى لهم نزلت بعد إظهار اليهود للنبي (ص) والمؤمنين منتهى العداوة والغدر ، وبعد أن ناصبوه مع المشركين الحرب ، وهي تتضمن تأليف قلوبهم ، واكتساب مودتهم ، (راجع ص ١٩٥ ج ٦) وقد ختم الله تعالى السورة بذكر الجزاء في الآخرة بما يناسب أحكامها كلها ، كما بيناه في تفسير آخر آية منها .

روى أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي في سننه و بعض رواة التفسير عن جبير بن نفير قال : حججت فدخلت على عائشة فقالت لي يا جبير تقرأ المائدة ؟ فقلت نعم . فقالت أما انها آخر سورة نزلت فما وجدت فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدت فيها من حرام فحرموه ، وروى احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عبدالله بن عمرو قال : آخر سورة نزلت سورة المائدة

والفتح . وقد تقدم في آخر تفسير سورة النساء بعض ماورد في آخر ما نزل من القرآن من السور برمتها ومن الآيات ، وكان كل يزوي ما وصل اليه علمه ، والله أعلم

﴿ تم تفسير سورة المائدة ﴾

﴿ يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير قد وفقني الله تعالى لاتمام تفسير هذه السورة في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ وكنت بدأت بتفسيرها في مثل هذا الشهر من سنة ١٣٣١ وسبب هذا البطء اني أكتب التفسير لينشر في مجلة المنار فتارة أفسر في الجزء منه بضع آيات ، وتارة أفسر آية واحدة في عدة أجزاء . وقد يمر شهر أو أكثر ولا أكتب في التفسير شيئاً ، وأسأل الله تعالى ان يوفقني لاتمام هذا التفسير بمنع العوائق والمباركة في الوقت وان يؤيدني فيه بروح من عنده ﴾

مكان الاسباب من الدين

﴿ فصل من مدارج السالكين في رد ما قاله صاحب المنازل في باب التليس ﴾

قد عرفت ان هذا الباب مبناه على محور الاسباب وعدم الالتفات اليها والوقوف معها ، ولهذا سمي المصنف نصبها تلبيساً ، ونحن نقول : ان الدين هو إثبات الاسباب والوقوف معها والنظر اليها والالتفات اليها ، وانه لا دين الا بذلك كما لا حقيقة الا به ، فالحقيقة والشريعة مبناهما على اثباتها لاعلى محورها ، ولانكر الوقوف معها فان الوقوف معها فرض على كل مسلم لا يتم اسلامه وامانه الا بذلك ، والله تعالى أمرنا بالوقوف معها بمعنى انا ثبت الحكم اذا وجدت ونفيه اذا عدت ، ونستدل بها على حكمه الكوني ، فوقوفنا معها بهذا الاعتبار هو مقتضى الحقيقة والشريعة ، وهل يمكن حيوانا ان يعيش في هذه الدنيا الا بوقوفه مع الاسباب ؟ فينتجع مساقط غيبتها وموقع قطرها ، ويرعى في خصبها دون جذبها ، ويسالمها ولا يحاربها ، فكيف وتنفسه في الهواء بها وتحركه بها وسمعه وبصره بها وغذاؤه بها ودواؤه بها وهداه بها وسعادته وفلاحه بها ، وضلاله وشقاؤه بالاعراض عنها وإلغائها ، فأسعد الناس في

الدارين أقومهم بالاسباب الموصلة الى مصالحهما ، وأشقاهم في الدارين أشدهم تعطيلاً
 لاسبابهما ، فالاسباب محل الامر والنهي والثواب والعقاب والنجاح والخسران ،
 وبالاسباب عرف الله ، وبها عبد الله ، وبها اطيع الله ، وبها تقرب اليه المتقربون ،
 وبها نال أولياؤه رضاه وجواره في جنته ، وبها نصروا حربه ودينه ، وأقاموا دعوته ،
 وبها أرسل رسله وشرع شرائعه ، وبها انقسم الناس الى سعيد وشقي ، ومهتد وغوي ،
 فالوقوف معها والاتفات اليها والنظر اليها هو الواجب شرعاً كما هو الواقع قدراً ،
 ولا تكن ممن غاظ حجابها وكثف طبعه فيقول : لا تقف معها وقوف من يعتقد انها
 مستقلة بالاحداث والتأثير وانها أرباب من دون الله . فان وجدت أحدا يزعم ذلك
 أو يظن انها أرباب وإله مع الله مستقلة بالايجاد ، أو انها عون لله يحتاج في فعله اليها ،
 أو انها شركاء له فشانك به ، فزق أديمه وتقرب الى الله بعداوته ما استطعت ،
 والا فما هذا النفي لما أثبتته الله ! والالغاء لما اعتبره ! والاهدار لما حققه ! والخط
 والوضع لما نصبه ! والمحو لما كتبه ! والعزل لما ولاه !! فان زعمت انك تعزلها عن رتبة
 الإلهية فسبحان الله ! من ولاها هذه الرتبة حتى تجعل سعيك في عزلها عنها

ويا لله ما أجهل كثيراً من أهل الكلام والتصوف حيث لم يكن عندهم تحقيق
 التوحيد الا إغفاءها ومحوها واهدارها بالكلية ، وانه لم يجعل الله في المخلوقات قوى
 ولا طبائع ولا غرائز لها تأثير موجبة ماء ، ولا في النار حرارة ولا احراق ، ولا في
 الدواء قوة مذهبة للداء ، ولا في الخبز قوة مشبعة ، ولا في الماء قوة مروية ، ولا في
 العين قوة باصرة ، ولا في الانف قوة شامة ، ولا في السم قوة قاتلة ، ولا في الحديد قوة
 قاطعة ؟ وان الله لم يفعل شيئاً بشيء ، ولا فعل شيئاً لاجل شيء ، فهذا غاية توحيدهم
 الذي يحومون حوله ويبالغون في تقريره ، فلعمري لقد أضحكوا عليهم العقلاء ،
 وأشمتوا بهم الأعداء ، ونهجوا لأعداء الرسل طريق اساءة الظن بهم ، وجنوا على
 الاسلام والقرآن أعظم جنابة ، وقالوا نحن أنصار الله ورسوله الموكون بكسر أعداء
 الاسلام وأعداء الرسل ، ولعمري لقد كسروا الدين وساطوا عليه المبطلين . وقد
 قيل « إياك ومصاحبة الجاهل فانه يريد ان ينفعك فيضرك » فقف مع الاسباب
 حيث أمرت بالوقوف معها ، وفارقها حيث أمرت بمفارقتها ، كما فارقها الخليل وهو في

تلك السفارة من المنجنيق (الى النار) حيث عرض له جبريل أقوى الأسباب، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. ودُر معها حيث دارت ناظرا الى من أزمته بيديه، والتفت اليها التفات العبد المأمور الى تنفيذ ما أمر به والتحديق نحوه، وأرعها حق رعايتها، ولا تغب عنها ولا تفن عنها، بل انظر اليها وهي في رتبها التي أنزلها الله إياها، واعلم أن غيبتك بمسبها عنها نقص في عبوديتك، بل الكمال أن تشهد المعبود وتشهد قيامك بعبوديته وتشهد أن قيامك به لا بك ومنه لا منك وبجوله وقوته لا بجوالك وقوتك، ومضى خرجت عن ذلك وقعت في انحرافين لا بد لك من أحدها: إما أن تغيب بها عن المقصود لذاته لضعف نظرك وغفلتك وقصور علمك وعرفتك، وإما أن تغيب بالمقصود عنها بحيث لا تلتفت اليها، والكمال أن يسلمك الله من الانحرافين فتبقى عبدا، ملاحظا للعبودية ناظرا الى المعبود، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة الا بالله

حرب أمم المدينة لا الممل الدينية

تسمي الجرائد العربية والاوربية هذه الحرب المشتعلة في أوربة حرب الامم، ولا نرى لها مخالفا في صحة هذه التسمية، فقد أجمع الناس على ان جميع الامم الاوربية المتحاربة موافقة لدولها على الاستمرار على هذه الحرب الى أن يقتل آخر رجل يقدر على استعمال السلاح فيها، وينفق آخر دينار في صناديقها، أو تقهر عدوها قهرا يخضع به لحكمها، ويدعن صاغرا لشروط الصلح التي تضعها حكومتها، وينقلون لنا ان النساء موافقات للرجال في هذا الامر، وان القسيسين والرهبان والاشتراكيين أيضا متفقون فيه مع رجال الحرب، الا ما تنقله الجرائد آنا بعد أن عن بعض النساء والاشتراكيين في ألمانيا من الرغبة في عقد الصلح كراهة للحرب وأطيما من أوزارها، وأيننا من أهوالها وسوء آثارها، ولعل هذا من قبيل ما كانت تنقله في أول الحرب من كراهة الشعب الألماني كله لها ورغبته عنها، وكون عاهله هو الذي ساقه اليها سوقا، بل دعه اليها دعاء، وكنا أول من خالفهم في ذلك

على أن المعقول الذي لا يعقل غيره هو أنه يوجد في كل أمة محاربة كثير حتى

من أهل الرأي يكرهون الحرب لذاتها ويتمنون الصلح على علته، والمعقول أن يكون أكثر هؤلاء الناس من أفراد الحكماء الراسخين ، ومن النساء والاشتراكيين ، ومن المتدينين الذين يفهمون ان الديانة المسيحية ديانة سلم وتواضع وزهد في المال والجاه والرياسة والملك— وما أكثر المتيمين اليها على هذا الفهم— فحيث يكثر هؤلاء يكثر الميل الى الصلح ، والجنوح الى السلم، وان لم تعن الجرائد بنقل أخبار هؤلاء في بلادها وبلاد أحلافها، لثلا يفتخر أعداؤها ويظنون أن أهمهم غير متفقة على تأييد حكوماتها ، وهي انما تنقل عن شعوب أعدائها الميل الى الصلح في سياق ذمها بالمعجز والضعف ، لا في سياق مدحها بكرهه القسوة والوحشية والافساد في الارض ، واستقباح الطمع المنفسي الى اهلاك الحرث والنبل ، ولذلك كانت تقول في أول الحرب ان الشعوب الجرمانية كارهة له مكرهه عليه ، ويوشك أن تخرج على حكومتها وتثور عليها ، ثم رجعوا عن ذلك ووصفوها بضده ، فالجرائد السياسية لا تكتب الا ما يمليه عليها الهوى ، فهي تابعة لمهابة أهوائه تميل معها كيفما أمالتها

الا أنها صادقة في قولها ان السواد الاعظم من الامم الأوربية مؤيد لدولها بما لها ورجالها واجماعها على الاستمرار في الحرب ، الى أن تنال ما ترجون النصر ، وتكون كلمتها هي العليا ، وكلمة أعدائها هي السفلى ، فان من يوجد في كل منها من محبي السلم يباعث الدين أو حب الانسانية والميل الى التواضع والقناعة مغلوبون على أمرهم ، ووجودهم لا ينافي ما أجمع عليه الكتاب من أن هذه الحرب هي حرب الامم لا الدول ، فان العبرة بالغالب والنادر لا حكم له ، وقد جرت عادة الناس أن يطلقوا على جملة الامم مافشا فيها وثبت لاكثرها من الاعمال ، أو اتصفت به من الصفات والاخلاق ، ولن تستطيع دولة من دول أوربة الاستمرار على الحرب اذا كان الرأي الغالب في الامم لا يؤيدها، الا أن تكون الدولة الروسية التي ليس لأمتها رأي غالب ومن أعجب ما نقل الينا عن الحكومة الانكليزية— ويحسن عده في هذا المقام من فضائلها التي تجري فيها على عرق— أنها حكمت أخيرا بوجود التجنيد الاجباري على المزاب الا من يرى ذلك مخالفا لوجدانه واعتقاده ، وقد سبق لسلفها مثل ذلك في قانون وجوب التلقيح للوقاية من الجدري ، وهذه الفضيلة مما امتاز به الانكليز

٧٤٨ اتفاق أمم أوروبا على الحرب دون الامة العثمانية [المنار: ج ١٠ م ١٨]

على غيرهم، وهم موافقون فيه لقاعدة من قواعد الاسلام تركها احكام المسلمين منذ قرون ان ما أجمع عليه الناس من تسمية هذه الحرب حرب الامم قد استثنوا منه الامة العثمانية بالنقل، كما استثنينا منه بعض الافراد من كل أمة بحكم العقل، فقد نقلت الينا بلاغات دول الحلفاء الرسمية، والبرقيات العامة والجرائد الغربية والشرقية، أن الشعب العثماني كاره لهذه الحرب، بل قالوا مرارا ان السلطان وولي عهده وسائر أهل بيته وأكثر رجال دولته كانوا معارضين فيها، وما زالوا كارهين لها، بل قالوا أيضا ان بعض زعماء جمعية الأتحاد والترقي كانوا وما زالوا كذلك، وان السبب المباشر لا يذان دول الاحلاف الدولة بالحرب — وهو اعتداء البارجتين الالمانيتين (غوبن وپرسلو) على ثغور روسية — لم يكن باذن من السلطان ولا الصدر الاعظم، بل لم يعلما به الا بعد وقوعه، وقد وعدا سفراء دول الاحلاف بعدم العود الى مثله، وان أنور باشا ناظر الحربية هو الذي اتفق مع ألمانية على ضم الدولة اليها في هذه الحرب، فغلب نفوذه على نفوذ غيره من زعماء جمعيته بمساعدة الالمان، الذين كان قد وُكل اليهم أمر اصلاح الجيش العثماني بعد حرب البلقان. ولا تزال الجرائد تتمخوّننا بأخبار كراهة العثمانيين لهذه الحرب في عاصمة الدولة وولاياتها، وما يأترون به لاسقاط الحكومة الأتحادية وانشاء حكومة جديدة تصالح الاحلاف وتتفق معهم، وبسعي صباح الدين أفندي ابن أخت السلطان الى ذلك واتفاق حزبه أخيرا مع حزب المشير شريف باشا وبعض رجال حزب الحرية والائتلاف على ذلك أنا لم أصدق كل ما نشرته الجرائد في هذا الموضوع وان كان بعضه رسميا، ولا أكذبه كله وان كان سنده ضعيفا واهيا، واعتقد ان أهل الحل والعقد من زعماء جمعية الأتحاد والترقي كانوا وما زالوا متفقين مع الالمان، وان السواد الاعظم من العثمانيين كاره لهذه الحرب في كل مكان، فهي حرب الدولة التي يتولى ادارتها الأتحاديون، لا حرب الامة العثمانية وان أقرها المبعوثون، فان المبعوثين في هذا العهد لا يمثلون الشعوب العثمانية ولا يمبرون عن رأيها، بل أكثرهم السنة لجمعية الأتحاد والترقي ومظهر لارادتها اذا تمهد هذا فاعلم أيها القارئ أنني لم أقصد به المدح أو الذم للامم المتفقة على الحرب أو المختلفة فيها، ولا التخطيطة أو التصويب لموقدي نارها، وإنما أريد ان أثبت

[المثار: ج ١٠ م ١٨] مضادة الدين ولا سيما المسيحي للحرب ٧٤٩

إنها حرب المدينة الاوربية الحديثة، لا حرب دينية ولا مذهبية، وهذه المدينة مادية لا روحية، دنيوية لا دينية، وغاية اصحابها ومقصدهم منها هو التمتع بالشهوات البدنية، والعلو والعظمة في الارض، والتكاثر في الاموال وضروب الزينة، فهي لا تتفق مع شرعة المسيح (عليه السلام) في ورد ولا صدر، ولا تسير في منهاجه في مبدأ ولا غاية، ولو كان روح المسيحية الحق له سلطان غالب في أوربة لما وقعت هذه الحرب البتة، كلا ان روح المسيحية مغلوب على أمره لسلطان المدينة المادية، فموقدو نار الحرب إما من خالص الماديين، وإما من متبعي أهوائهم في فهم الدين، ولكن أهوال الحرب قد أيقظت في جمهور كل أمة منهم شعور الدين، وكثرفيهم من يصلون ويدعون الله ان ينصرهم على أعدائهم، كما هو شأن البشر في حال الكروب والخطوب (فاذا غشيهم موج كالأظلم دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر ذاهم يشركون * فاذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) فهل يعتبر بهذه الحرب أولئك الخادعون المخدوعون الذين كانوا يعيرون الاديان، بزعمهم أنها مثار البغي والعدوان، ومسعر نيران الحرب بين الانسان وأخيه الانسان، وانه لولاها لا آخت المدينة بين الناس، وجمعت بين ما تفرق من الاجناس؟ كلا إن الحياة المدنية هي التي تولد في النفوس المطامع التي لا حد لها، وتقرن التنافس بالتحاسد، وتسوق الحسد الى البغي والتقاتل، وان الدين ينهي عن ذلك كله، ولكن الناس كثيرا ما يخطئون في فهمه، وكثيرا ما يتمدون تحريف كلمه عن مواضعه، فهم يسيئون استعماله كما يسيئون استعمال الحواس والعقل وغير ذلك من نعم الله تعالى، فنمقاصد الدين إزالة الخلاف من بين الناس فاتخذوه سببا من أسباب الخلاف (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد لما جاءهم العلم بغيا بينهم) فالجرب سنة من سنن الاجتماع قد يخفف الدين شرورها بقدر ارتقائه واستمسك أهله به كما بيناه في مقالة نشرناها في الجزء الثالث عنوانها (حرب المدينة الاوربية، والمقارنة بينها وبين المدينة الاسلامية والفتوحات العربية)

وليس للمدينة المادية مثل هذا التأثير في نفسها، فان وجد في أمم المدينة من

يقبح الحرب أو يقبح ارتكاب القسوة فيها غيره على العمران ومحافظة على حقوق البشر غير مهتد في ذلك بتربية الدين ولا متأثر بفضائله فهو لا يكون الا كالتاجر الخوان لا يحجم عن صفة الا خوفا من الخسارة، فتي غلب على ظنه انه يربح فيها لا يبالي ما يفعل . اللهم الا الافراد من الحكماء ، الذين رجح العقل والفضيلة في نفوسهم على الاهواء ، كالفيلسوف هررت سبنسر الانكليزي الذي اهدى اليه اهل الألمان وساما علميا فلم يقبله منه لانه قيصر حرب وهو عدو للحرب ، وإياك ان تظن في هذا الحكيم الكبير انه كان يبغض الالمان بغضاسياسيا لمناظرتهم لقوهه فلبس عليهم وعلى الناس بما ادعاه من سبب رفض الوسام ، فكان ذلك من الرياء الفرسي الذي يغمز به الانكليز منتقدوهم كما صرحوا به في هذه الايام^(١) ، فان هذا الحكيم الكبير قد نصح لليابانيين بأن لا يولوا قومه الانكليز شيئا من شؤون بلادهم ، لان ذلك يكون ذريعة لعشهم باستقلالهم ، فأني استقلال في الرأي واخلاص في النصيح أدل على الحكمة والفضيلة من هذا ؟

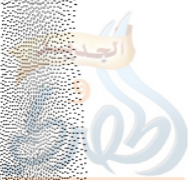
على ان هذا الفيلسوف لم يكن ماديا بل كان يشكو من انتصار المطامع المادية في البلاد الاوربية — حتى في بلاده — على الفضيلة كما حدثنا عنه شيخنا الاستاذ الامام . واننا نذكر في هذا المقام بعض ما دار بين حكيمى الشرق والغرب في زيارة الاول للثاني بداره في ١٠ اغسطس سنة ١٩٠٣ : بدأ المزور الزائر بسؤاله عما رأى من تغير الافكار في انكلترة وعما دخل الشرق من الافكار الاوربية ، وشكا اليه من سريان الافكار المادية الى قومه وما يخشى من اضعافها للفضيلة، ثم دار بينهما ما يأتي قال الفيلسوف : الحق عند أوربة للقوة . قال الاستاذ الامام : هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هي التي حملت الشرقيين على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منافعها . قال الفيلسوف : محي الحق بالمره من عقول أهل أوربة وسترى الامم يختبئ بعضها ببعض ليتبين من هو الاقوى فيكون سلطان العالم .

(١) من الشواهد على هذا ما في مقالة (آراء الاميركيين في الحرب) المنشورة في جزء يناير سنة ١٩١٥ من المقتطف ، وأوضح منه مقالة لكتاب قصصى انكليزي كتبها لصديق له فرنسي ونشرت في المقطم

[المنار: ج ١٠ م ١٨] رأي الاستاذ الامام في العلم والدين ٧٥١

قال الاستاذ : عندي أمل ان هم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير مبادئ الحق يحول دون ذلك . فقال الفيلسوف كلاما يدل على يأسه من ذلك . وقد كتب الاستاذ في مذكرته بعد الاشارة الى هذه المذاكرة مانصه :

« ماذا حركت مني كلمة الفيلسوف « الحق للقوة » الخ ؟ جاءت منه مصحوبة بشعاع الدليل فأثارت حرارة وهاجت فكرا ، لوجأت من ثرثار غيره كانت تأتي مقتولة ببرد التقليد، فكانت (تكون) جيفة تعافها النفس فلا تحرك الا شهواتها وغشيانا » هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد في راحة الانسان وتوفير راحته وتعزيز نمته (أعجزهم) ان يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها على الانسان حتى يعرفها فيعود اليها ، هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد اللامع المضيء ، افلا ييسر لهم ان يجلبوا ذلك الصدا الذي غشي الفطرة الانسانية ويصقلوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحاني ؟ حار الفيلسوف في حال أوربا وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء ؟ الرجوع الى الدين الخ الدين هو الذي كشف الطبيعة الانسانية وعرفها الى أربابها في كل زمان لكنهم يعودون فيجهلون بها ، اه الظاهر ان الاستاذ كان يريد ان يتوسع في هذا الموضوع كما يشير الى ذلك قوله في مذكرته « الخ » ولعله كان ينتظر فرصة مناسبة للمقام سواء كانت عملية كهذه الحرب أو قولية كقال ينشر في الصحف في تفضيل المدنية المادية على المدنية الدينية فيكتب مقالا يبين فيه الحق ويزيل فيه الالتباس مؤيدا بالحكمة الصحيحة وشواهد التاريخ ، وقد بينا شيئا من المقابلة بينها وبين المدنية الاسلامية في المقالة التي أشرنا اليها آنفا ان أصحاب النظر والاستقلال من هؤلاء المشاق للمدنية المادية — وقليل ما هم — كانوا يفرقون في حسن الظن بالمدنية المادية وبأهلها إغراقا بعثهم على الجزم بأن فكرة الحرب قد قضي عليها في أوربة قضاء مبرما فلن توقدها هنالك نار، وكانوا يقولون : ان وجد من الملوك والرؤساء من يسعى لها سعيها ، ويحاول ان يقدح لها زندهاء فان شعبه هو الذي يضرب على يده ، ويفت في عضده ، وقد كنا نخالف هؤلاء في الرأي ، ومنهم من هو أعلم منا بحال القوم ، ولكن رأيهم في ذلك خالف رأي من هو أعلم منا ومنهم بحال أوربة وفلسفتها . الا وهو شيخ فلاسفتها الاكبر، هربرت سبنسر



٧٥٢ حسنات وسيئات المدينتين الروحية والمادية [المنار: ج ١٠ م ١٨]

كان أوائلك المحسنون للظن ، من ذوي الاستقلال في الرأي ، لا ينكرون كالتقليد سيئات هذه المدينة المادية ، ولكنهم يقولون إنها اذا قيست بسيئات المدينة الدينية كانت أقل منها وأخف ضررا ، ونحن نخالفهم في هذا أيضا ، ونقول ما كل سيئات المدينة القديمة صادرة عن الدين والفلسفة الروحية ، وما كل حسنات المدينة الحديثة صادرة عن الاتحاد والفلسفة المادية . ولا تضاد بين العلوم والأعمال المادية ، وبين العقائد والأعمال الدينية ، وأمانعني بالمدينة المادية المذمومة ما كان مبنيا على جهود حياة بعد هذه الحياة الدنيا ، وحصر ثمرات أعمال البشر في التمتع بالذات الدنيوية من طعام وشراب وفرش وزينة ورياسة — ونعني بالمدينة الدينية ما كان مبنيا على أن للإنسان حياتين يجب عليه أن يأخذ حظه من أولاهما الدنيا بالمعروف ويستعد فيها للآخرة بالعمل الصالح ، على حد قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين) فان أصول الدين التي دعا اليها الرسل هي الثلاثة المنصوصة في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والذين نصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) من البديهي ان من لم يكن له حظ من وجوده الا التمتع بالذات الدنيا وزينتها لا يكون له من حياته الا تحصيل المال والجاه الموصل اليها بحق أو بغير حق ، وان الحق يكون عنده تابعا للقوة دون العكس ، فان وجد في أهل هذه المدينة المادية من يعترف بحق لضعيف فانما يعترف به لمنفعة يراعيها ، أو لمفسدة يتقيها ، ولو تنازع أقويا هؤلاء على الضعفاء ، لما سلم ضعيف من الايذاء ، وقد كان من المصالح جعل بعض الدول الصغيرة في أوربة حاجزا بين الكبيرة المتعادية منها ، وتماهدوا على ان تكون حرما آمنا لا يجنى عليها ، ولكنهم لم يراعوا هذه اليهود ولا غيرها عند حاجتهم الى تقضها في هذه الحرب ، والدين لا يبيح ذلك . قال تعالى في اليهود بين المسلمين والمشركين (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) وقال في المؤمنين الذين لم يهاجروا الى النبي (ص) (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير)

[المنار: ج ١٠ م ١٨] الألقاب الرسمية وغير الرسمية ٧٥٣

الألقاب

بحث لغوي تاريخي في الألقاب الرسمية وغير الرسمية

منقول من الفصل الثاني من الباب الأول من المقالة الثالثة من الجزء الخامس من كتاب صبح الاعشى للكلام فيه طرفان - قال :

الطرف الأول في أصول الألقاب وفيه جملتان

(الجملة الأولى في معنى اللقب والنعمة ، وما يجوز منه وبمتمنع)

أما اللقب فأصله في اللغة النبز - بفتح الباء ، قال ابن حاجب النعمان في « ذخيرة الكتاب » : والنبز ما يخاطب به الرجل الرجل من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب إليه من كشفه ، وليس من باب الشتم والقذف

وأما النعمة فأصله في اللغة الصفة . يقال : نعمة ينعمه نعمتا إذا وصفه . قال في « ذخيرة الكتاب » : وهو متفق على أنه ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد في اجلاله ونباهته ، وبخلاف اللقب . قال : لكن العامة استعملت اللقب في موضع النعمة الحسن ، وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم اياه ، حتى وقع الاتفاق والاصطلاح على استعماله في التشريف والاجلال والتعظيم والزيادة في النباهة والتكرمة

قلت : والتحقيق في ذلك أن اللقب والنعمة يستعملان في المدح والذم جميعاً فن الألقاب والنعوت ما هو صفة مدح ومنها ما هو صفة ذم . وقد عرفت النجاة اللقب بأنه ما أدى الى مدح أو ذم ، فالموذي الى المدح كأمر المؤمنين ، وزين العابدين ، والموذي الى الذم كأنف الناقة وسعيد كرز وما أشبه ذلك ؛ والنعمة تارة يكون صفة مدح ، وتارة يكون صفة ذم ، ولا شك أن المراد هنا من اللقب والنعمة ما أدى الى المدح دون الذم . وقد اصطلاح الكتاب على أن سمو صفات المدح التي يوردونها في صدور المكاتبات ونحوها بصيغة الافراد كالامير والاميري

(المجلد الثامن عشر)

(٩٥)

(المنار: ج ١٠)

٧٥٤ أصل وضع الألقاب والنعوت للمدح [المنار: ج ١٠ م ١٨]

والاجل والاجلي والكبير والكبير ونحو ذلك ألقابا . وصفات المدح التي يوردونها على صورة التركيب ، كسيف أمير المؤمنين وظهير الملوك والسلاطين ، ونحو ذلك نعوتها . ولا معنى لتخصيص كل واحد منهما بالاسم الذي سموه به الا مجرد الاصطلاح ، ولا نزاع في اطلاق اللقب والنعوت عليهما باعتبارين : فمن حيث انها صفات مؤدية الى المدح يطلق عليها اسم اللقب ، ومن حيث انها صفات لذوات قائمة بها يطلق عليها اسم النعت

وأما ما يجوز من ذلك ويمتنع ، فالجائز منه ما أدى الى المدح مما يحبه صاحبه ويؤثره ، بل ربما استحب ، كما صرح به النووي في « الاذكار » للاطباقي على استعماله قديما وحديثا . والممتنع منه ما أدى الى الذم والنقيصة مما يكرهه الإنسان ولا يجب نسبته اليه ، قال النووي : وهو حرام بالاتفاق ، سواء كان صفة له ، كالاعمش ، والاجلح ، والاعمى ، والاحول ، والابرص ، والاشج ، والاصفر ، والاحدب ، والاصم ، والازرق ، والاشتر ، والاثرم ، والاقطع ، والزمن ، والمقعد ، والاشل ، وما أشبه ذلك ؛ أو كان صفة لأبيه : كابن الاعمى ، أو لأمه : كابن الصوراء ونحو ذلك مما يكرهه قال تعالى (ولا تنازوا بالألقاب بأسماء الفسوق بعد الايمان) قال : واففقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه الا بذلك ، ودلائل ذكره كثيرة مشهورة ، وهو أحد المواضع التي تجوز فيها الغيبة

الجملة الثانية في أصل وضع الألقاب والنعوت المؤدية الى المدح

واعلم أن القاب المدح ونعوته لم تنزل واقعة على أشرف الناس وجملة الخلق في القديم والحديث ، فقد ثبت تلقب ابراهيم عليه السلام بـ«الخليل» وتلقب موسى عليه السلام بـ«الكليم» وتلقب عيسى عليه السلام بـ«المسيح» وتلقب يونس عليه السلام بـ«ذي النون» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب قبل البعثة بـ«الامين» ووردت التواريخ بذكر ألقاب جماعة من العرب في الجاهلية : كذي يزن ، وذو المنار ، وذو نواس ، وذو رعين ، وذو جدين ، وغيرهم مما هو مشهور شائع .

وكذلك وقعت ألقاب المدح على كثير من عظماء الاسلام واشرافه كالصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من الخلفاء والوزراء وغيرهم ؛ فكان لقب أبي بكر « عتيقا » ثم لقب بـ «الصديق » بعد ذلك ، ولقب عمر « الفاروق » ولقب عثمان « ذا النورين » ولقب علي « حيدرة » ولقب حمزة بن عبد المطلب « أسد الله » ولقب خالد بن الوليد « سيف الله » ولقب عمرو^(١) بن عمرو « ذا اليمين » ولقب مالك بن النسيان الانصاري « ذا السيفين » ولقب خزيمه بن ثابت الانصاري « ذا الشهادتين » ولقب جعفر بن أبي طالب بعد استشهاده « ذا الجناحين »

وأما الخلفاء ، فخلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم، فلما صارت الخلافة الى بني العباس وأخذت البيعة لابراهيم بن محمد لقب بـ «الامام » ثم تلقب من بعده من خلفائهم: فتلقب محمد بن علي بـ «السفاح» لكثرة ما سفح من دماء بني أمية. واختلف في لقبه بالخلافة ، فقيل « القائم » وقيل « المهدي » وقيل « المرتضى » وألقاب الخلفاء بعده والى زماننا معروفة مشهورة على ما مر ذكره في المقالة الثانية. وعلى ذلك كانت القاب لخلفاء بني أمية بالاندلس الى حين انقراضهم على ما هو مذكور في مكاتبة صاحب الاندلس ، على ما سيأتي في المكاتبات في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى ثم تعدت ألقاب الخلافة الى كثير من ملوك الغرب بعد ذلك ، وتلا الخلفاء في الالقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعد ذلك ، فلقب أبو سلمة الخلال وزير السفاح بـ «وزير آل محمد » ولقب المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان « الأخ في الله » ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره « ذا الكفائتين » ولقب أخاه الحسن بن سهل « ذا الرياستين » ولقب المعتمد على الله وزيره صاعد ابن مخلد « ذا الوزارتين » اشارة الى وزارة المعتمد والموفق ، وكان لقب اسماعيل ابن بلبل الشكور « الناصر لدين الله » كألقاب الخلفاء

وكذلك وقع التلقب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش ، فتلقب أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة بـ «أمير آل محمد» ، وقيل « سيف آل محمد » وتلقب أبو الطيب طاهر بن الحسين بـ «ذي اليمنين » ولقب المعتمد بالله حيدر

(١) في كتب اللغة والحديث ان اسمه الخرباق فلعل فيه خلافا

٧٥٦ ألقاب ملوك بني بويه بالاضافة الى الدولة والدين [المنار: ج ١٠ م ١٨]

ابن كاووس بـ«الافشين» لانه أشروسني ، والافشين لقب على الملك بأشروسنة .
 ولقب اسحاق بن كيداح أيام المعتمد بـ«ذي السيفين» ولقب مؤنس في أيام
 المقتدر بـ«المظفر» ولقب سلامة أخو نوح أيام القاهر بـ«المؤمن» ولقب أبو بكر
 ابن محمد بن طفج^(١) الراضي بالله بـ«الخشيد» والاشيد لقب على الملك بفرغانة
 ثم وقع التلقب بالاضافة الى الدولة في أيام المكتفي بالله ، فلقب المكتفي
 أبا الحسين^(٢) بن القاسم بن عبيد الله « ولي الدولة » وهو أول من لقب بالاضافة
 الى الدولة، ولقب المقتدر بالله علي بن أبي الحسين^(٢) المتقدم ذكره « عميد الدولة »
 ووافت الدولة البويهية أيام المطيع لله والامر جار على التلقب بالاضافة للدولة
 فافتحت ألقاب الملوك بالاضافة الى الدولة ، فكان أول من لقب بذلك من الملوك
 بنو بويه الثلاثة : فلقب أبو الحسن علي بن بويه بـ«عماد الدولة» ولقب أخوه
 أبو علي الحسن بـ«ركن الدولة» وأخوها أبو الحسين بـ«معز الدولة» ثم وافى
 [عضد الدولة] من بعدهم فاقترح أن يلقب بـ«تاج الدولة» فلم يجب اليه وعدل
 به الى «عضد الدولة» فلما بذل نفسه للمعاونة على الاتراك ، اختار له أبو اسحق
 الصابي صاحب ديوان الانشاء « تاج الملة » مضافا الى عضد الدولة ، فكان يقال
 « عضد الدولة وتاج الملة » ولقب أبو محمد الحسن بن حمدان أيام المتقي لله
 « ناصر الدولة » ولقب أخوه أبو الحسن علي بن حمدان « سيف الدولة »

وبقي الامر على التلقب بالاضافة الى الدولة الى أيام القادر بالله فافتتح التلقب
 بالاضافة الى الدين . وكان أول من لقب بالاضافة اليه أبو نصر بهاء الدولة بن
 عضد الدولة بن بويه ، زيد على لقبه بهاء الدولة « نظام الدين » فكان يقال
 « بهاء الدولة ونظام الدين » قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقب به وأفرط ،
 حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكراد ، وسائر من طلب وأراد ،
 وكره (?) حتى صار لقباعلى الاصل . ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد حتى
 تعاطاه أهل الاسواق ومن في معناهم ، ولم تصر به ميزة لكبير على صغير، حتى قال قائلهم

(١) معنى طفج عبد الرحمن كما في ابن خلكان (٢) لم يذكر في الضوء لفظ

الاب في الحلين

[المنار: ج ١٠ م ١٨] ألقاب الفاطميين وعماهم. معاني الألقاب ٧٥٧

طلب الدين مستغنياً الى الله وقال : العبادُ قد ظلموني !
يتسمون بي ، وحقك لا أعرف منهم شخصاً ولا يعرفوني !
أما الديار المصرية فكان جريهم في الألقاب على ما ينتهي اليهم خبره من ألقاب
الدولة العباسية ببغداد ، فتلقب خلفاء الفاطميين بها بنحو القاب خلفاء بني العباس
ببغداد ، فكان لقب أول خلفائهم بها « المعز لدين الله » وثانيهم بها « العزيز بالله »
وعلى ذلك الى أن كان لقب آخرهم « العاضد لدين الله » على ما تقدم في المقالة
الثانية في الكلام على ملوك الديار المصرية
وتلقب وزرائهم وكتابهم بالاضافة الى الدولة ، ومن لقب بذلك في دولتهم
[ولي الدولة] بن أبي كدينة وزير المستنصر ، وأيضاً [ولي الدولة] بن خيران
كاتب الانشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالي تلقب بـ « أمير الجيوش » .
ثم تلقب الوزراء بعده بنحو [الأفضل] و [المأمون] . ثم تلقبوا بالملك الفلاني ،
كـ « الملك الأفضل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك على ماسأني يبانه ان شاء الله تعالى
وكان الكتاب في أواخر الدولة الفاطمية الى أثناء الدولة الايوبية يلقبون
بـ « الفاضل والرشيد والعماد » وما أشبه ذلك . ثم دخلوا في عموم التلقب بالاضافة
الى الدين ، واختص التلقب بالاضافة الى الدولة كولي الدولة بكتاب النصاري ،
والامر على ذلك الى الآن

الطرف الثاني في بيان معاني الألقاب وفيه تسع جمل

الجملة الاولى في الألقاب الخاصة بآرباب الوظائف المعتمدة التي بها انتظام أمور
المملكة وقوامها ، وهي قسمان (القسم الاول) الألقاب الاسلامية وهي نوعان :
(النوع الاول) الألقاب القديمة المتداولة الحكم الى زماننا ، وهي صنفان :

الصنف الاول ألقاب آرباب السيوف ، وهي سبعة ألقاب

الاول - الخليفة . وهو لقب على الزعيم الاعظم القائم بأمر الأمة ، وقد اختلف
في معناه ، فقيل : انه فعيل بمعنى مفعول ، كجريح بمعنى مجروح ، وقتيل بمعنى مقتول
ويكون المعنى انه يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى (اني جاعل في الارض

خليفة) على قول من قال: ان آدم عليه السلام أول من عمر الارض وخلفه بنوه من بعده . وقيل : فعيل بمعنى فاعل ، ويكون المراد أن يخلف من بعده ^(١) وعليه حمل الآية من قال انه كان قبله في الارض الجن وانه خلفهم فيها ، واختاره النحاس في [سنة الكتاب] وعليه اقتصر البغوي في [شرح السنة] والماوردي في «الاحكام السلطانية» قال النحاس: وعليه خوطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخليفة رسول الله وقد أجازوا أن يقال في الخليفة : خليفة رسول الله ، لانه خلفه في أمته . واختلفوا هل يجوز أن يقال فيه خليفة الله ؟ فجوز بعضهم ذلك لقيامه بحقوقه في خلقه محتجين بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت والله تعالى باق موجود الى الابد لا يغيب ولا يموت ، ويؤيد ما نقل عن الجمهور بما روي أنه قيل لابي بكر رضي الله عنه : يا خليفة الله . فقال : لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله -- فقال : ويلك ! لقد تناولت متاولا بعيدا ! ان أمي سميتي عمر ، فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ، ثم كبرت فكتبت أبا حفص ، فلو دعوتني به قبلت ، ثم وليتموني أموركم فسميتوني أمير المؤمنين ، فلو دعوتني به كفاك . وخصر البغوي جواز اطلاق ذلك بآدم وداود عليهما السلام ، محتجا بقوله تعالى في حق آدم (اني جعل في الارض خليفة) وقوله في حق داود (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) ثم قال : ولا يسمى أحد خليفة الله بعدها . قال في [شرح السنة] وسمى خليفة وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل ثم قد كره جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل اطلاق اسم الخليفة على ما بعد خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره ، محتجين بحديث « الخلافة بعدي ثلاثون » يعني ثلاثين سنة ، وكان انقضاء الثلاثين بانقضاء خلافة الحسن . ولما انقضت الخلافة سارت ملكا . قال المعافى بن اسماعيل في تفسيره : وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل طلحة والزبير وكعبا وسألن عن الفرق بين الخليفة والملك -- فقال طلحة والزبير : لا تدري . فقال

(١) نانا في الضوء أيضا وفي نسخة أخرى: وألا ظهر من قبله

[المنار: ج ١٠ م ١٨] الهاء في خليفة والتذكير والتأنيث له ٧٥٩

سلمان : الخليفة الذي يعدل في الرعية ، ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ؛ ويقضي بينهم بكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت أحسب أن في هذا المجلس من يفرق بين الخليفة والملك ، ولكن الله أهدى سلمان حكماً وعلماً

واختلف في الهاء في آخره : فقيل أدخلت فيه للمبالغة كما أدخلت في رجل داهية وراوية وعلامة ونسابة وهو قول الفراء ، واستحسنه النحاس فأقلا له عن أكثر النحويين ، وخطأه علي بن سليمان محتجاً بأنه لو كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقياً . وقيل : الهاء فيه لتأنيث الصيغة . قال النحاس : وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه فقالوا « فلان خليف فلان » يعنون خليفته

ثم الأصل فيه التذكير نظراً للامني لأن المراد بالخليفة رجل وهو مذكر ، فيقال أمر الخليفة بكذا على التذكير . وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على لفظ خليفة فيقال أمرت الخليفة بكذا ، وأنشد الفراء : « أبوك خليفة ولدته أخرى »

ومنه البصريون محتجين بأنه لو جاز ذلك لجاز [قالت طلحة] في رجل اسمه طلحة وهو ممتنع . فان ظهر اسم الخليفة تمين التذكير باتفاق فتقول قال أبو جعفر الخليفة أو : قال الراضي الخليفة ونحو ذلك . ويجمع على خلفاء ككريم وكرماء ، وعليه ورد قوله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) وعلى خلافه كصحيفة وصحائف ، وعليه جاء قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) والنسبة إليه خلفي كما ينسب إلى حنيفة حنفي . وقول العامة درهم خليفتي ونحوه خطأ ، إذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب إليه الياء وهاه التأنيث على ما هو مقرر في علم النحو . ومن وهم في ذلك ، المقر الشهابي بن فضل الله رحمه الله في كتابه [التعريف] حيث قال : وأول ما نبدأ بالمكاتبة إلى الأبواب الشريفة الخليفية ، ولعله سبق قلم منه ، والا فالله أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه

الثاني - الملك . وهو الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة ، وقد نطق القرآن بذكره في غير موضع كما في قوله تعالى (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) (وقال الملك اثوني به) إلى غير ذلك من الآيات ، ويقال فيه ملك بنكر اللام

وملك باسكانها ومليك بزيادة ياء ، ومنه قوله تعالى (عند ملك مقتدر) قول الجوهري : والملك مقصور من مالك أو ملك ، ويجمع على ملوك وأملاك . ويقال لموضع الملك المملكة

الثالث - السلطان . وهو اسم خاص في العرف العام بالملوك . ويقال : ان أول من لقب به [خالد بن برمك] وزير الرشيد ، لقبه به الرشيد تعظيماً له ، ثم انقطع التلقب به الى أيام بني بويه فنلقب به ملوكهم فمن بعدهم من الملوك السلاجقة وغيرهم وهلم جرا الى زماننا

وأصله في اللغة الحججة قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) يعني من حجة . وسمي السلطان بذلك لأنه حجة على الرعية يجب عليهم الاتقياد اليه

واختلف في اشتقاقه : فقيل انه مشتق من السلاطة وهي القهر والغلبة ، لقهره الرعية وانقيادهم له ، وقيل مشتق من السليط ، وهو الشرج في لغة أهل اليمن لأنه يستضاء به في خلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسان سليط أي حاد ماض لمضي أمره ونفوذه . وقال محمد بن يزيد البصري : السلطان جمع واحده سليط كقفيز وقفزان ، وبمير وبمران

وحكى صاحب [ذخيرة الكتاب] أنه يكون واحداً ويكون جمعاً ، ثم هو يذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحججة . وحكى الكسائي وانفراء على التأنيث عن بعض العرب : قضت به عليك السلطان . قال العسكري في كتابه [الفروق] في اللغة : والفرق بينه وبين الملك أن الملك يختص بالزعيم الأعظم ، والسلطان يطلق عليه وعلى غيره . وعلى ما ذكره العسكري عرف الفقهاء في كتبهم ، اذ يطلقونه على الحاكم من حيث هو حتى على القاضي فيقولون فيمن ليس لها ولي خاص يزوجها السلطان ونحو ذلك . ومن حيث ان السلطان أعم من الملك يقدم عليه في قولهم السلطان الملك الفلاني ، ليقع السلطان أولاً على الملك وعلى غيره ثم يخرج غير الملك بعد ذلك بذكر الملك

الرابع - الوزير . وهو المتحدث للملك في أمر مملكته . واختلف في اشتقاقه : فقيل مشتق من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الملجأ ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر)

سمي بذلك لان الرعية يلجئون اليه في حوائجهم ، وقيل مشتق من الاوزار وهي الامتعة ، ومنه قوله تعالى (ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم) سمي بذلك لانه متقلد بخزائن الملك وأمتعته ، وقيل مشتق من الوزر بكسر الواو واسكان الزاي وهو الثقل ، ومنه قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) سمي بذلك لانه يتحمل أثقال الملك ، وقيل مشتق من الازر : وهو الظهر ، سمي بذلك لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر . وتكون الواو فيه على هذا التقدير منقلبة عن همزة . وقد أوضحت القول في ذلك في [النفحات النثرية في الوزارة البدرية] قال القاضي في [عيون المعارف في أخبار الخلائف] وأول من لقب بالوزارة في الاسلام أبو سلمة حفص بن سلمان الخلال وزير السفاح . قال : وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتب . ثم هو إما وزير تفويض : وهو الذي يفوض الامام اليه تدبير الامور برأيه وامضاءها على اجتهاده كما كانت الوزراء بالديار المصرية من لدن وزارة بدر الجمالي والى حين انقراضها ، واما وزير تنفيذ : وهو الذي يكون وسيطا بين الامام والرعايا معتمدا على رأي الامام وتديبره . وهذه هي التي كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة . أما الوزارة في زماننا فقد تقاصرت عن ذلك كله حتى لم يبق منها الا الاسم دون الرسم . ولم تنزل الوزارة في الدول تتردد بين أرباب السيوف والاقلام تارة وتارة الا أنها في زماننا في أرباب الاقلام

الخامس — الامير . وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك ممن يوليه الامام وأصله في اللغة ذو الامر وهو فاعل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى أمر ، سمي بذلك لامثال قومه أمره . يقال : أمر فلان . اذا صار أميرا ، والمصدر الامرة والامارة بالكسر فيهما ، والتأشير تولية الامير ، وهي وظيفة قديمة

السادس — الحاجب . وهو في أصل الوضع عبارة عن يبلغ الاخبار من الرعية الى الامام ويأخذ لهم الاذن منه ، وهي وظيفة قديمة الوضع كانت لا بتداء الخلافة فقد ذكر القاضي في [عيون المعارف] لكل خليفة حاجبا من ابتداء الامر والى زمانه : فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق رضي الله عنه « شديدا »

(المنار: ج ١٠) (٩٦) (المجلد الثامن عشر)

مولاه ، وحاجب عمر « برفاً » مولاه، وحاجب عثمان « حمران » مولاه، وحاجب علي « قنبرا » مولاه، وعلى ذلك في كل خليفة، ما عدا الحسن بن علي رضي الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبا ، وسمي الحاجب بذلك لأنه يهجب الخليفة أو الملك عن يدخل اليه بغير إذن . قال زياد لحاجبه « وليتك حجابي وعزلك عن أربع : هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح فلا تعوجه عني ولا سلطان لك عليه ، وطارق الليل فلا تمحبه فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء في تلك الساعة ، ورسول الثغر فإنه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة، فأدخله عليّ وان كنت في لحافي، وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد »

ثم تصرف الناس في هذا اللقب ووضعوه في غير موضعه ، حتى كان في أعقاب خلافة بني أمية بالاندلس ربما أطلق على من قام مقام الخليفة في الامر ، وكانوا في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يعبرون عنه بصاحب الباب كما سبق بيانه في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب دولتهم . أما في زماننا فإنه عبارة عن يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب ، ليلبغ ضرورات الرهية اليه ، ويركب أمامه بعضا في يده، ويتصدى لفصل المظالم بين المتداعين خصوصا فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الامور الديوانية ونحوها . وله بيلاذ المغرب والاندلس أوضاع تخصه في القديم والحديث ، على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكاتباتهم في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

السابع — صاحب الشرطة . بضم الشين المعجمة واسكان الراء : وهو المعبر عنه في زماننا بالوالي ، وتجمع الشرطة على شرط بضم الشين المعجمة وفتح الراء . وفي اشتقاقه قولان : أحدهما انه مشتق من الشرط بفتح الشين والراء وهي العلامة، لانهم يجعلون لانفسهم علامات يعرفون بها ؛ ومنه أشراط الساعة يعني علاماتها ، وقيل من الشرط بالفتح أيضا : وهو رُذال المال ، لانهم يتحدثون في أراذل الناس وسفلتهم ممن لا مال له من اللصوص ونحوهم .

مَدِينَةُ دَارِ الْبَيْتِ الْمَقْدِسِيِّ وَالْأَنْشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٢

الهيضة - أو الكوليرا Cholera

داء وبيل ، سريع الانتشار ، وأوبئته تفنك بالأم فتكا ذريعا
وكلمة كوليرا من كلمة يونانية معناها الميرة (وهي افراز الكبد المعروف الآن
بالصفراء) لان القيء والبراز بشتملان في أول الامر على الصفراء ، ويسمى هذا
المرض باللغة العربية [الهيضة] ويسميه المتأخرون من العرب بـ [الهواء الأصفر]
لانهم توهموا أنه ينشأ من تغير في الجو أو الهواء
ومنبع هذا الداء بلاد الهند بأسية ولذلك يسمي بالهيضة الآسيوية ومنها انتشر
في أقطار المسكونة ، وقد دخل مصر عدة مرات

الاسباب - لهذا المرض ميكروب خاص يشبه الضمة اكتشفه (كوخ) سنة
١٨٨٣ وهو لا يصيب عادة غير الانسان. طول هذا الميكروب [ميكرون] واحد أو
اثنان . وقد يجتمع منه اثنان فأكثر فيتألف منهما حلزون ، وهو متحرك وله هذب
واحد غالبا في أحد طرفيه ولا حبيبات له وإنما يتوالد بالانقسام
يوجد هذا الميكروب في براز المصابين وقد يوجد أحيانا في القيء أيضا ولا
يوجد في الدم ولا في الاعضاء ولا الانسجة وقد يستمر خروجه مع البراز حتى بعد
الشفاء بمدة ، وهو يسكن في الامعاء وأغشيتها المخاطية . وبعد الوفاة قد يوجد في جميع
أجزاء الجسم لانه ينفذ من الامعاء اليها

يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره ، والجفاف التام يقتله . وقد يعيش في الطين الرطب الى ٦٨ يوما ، وفي ماء الشرب عدة أشهر ، وفي البراز عدة أسابيع وحامض العصير الممدي يقتله ، ولكن هذا العصير لا يفرز إلا مع وجود الطعام فإذا شرب الانسان ماءً على الجوع خيف عليه العدوى لعدم وجود هذا الحامض حينئذ فيصل الميكروب الى الامعاء . وأمراض الجهاز الهضمي أو اضطراباته تهيئ المرء لقبول العدوى به

ولا يميز هذا الداء بين الذكر والأنثى ويصيب الناس في جميع الأعمار . والفاقة والضعف والادمان على الخمر مما يهيئ له وكذلك الافراط في الطعام الكثير . ويكثر انتشاره في فصلي الخريف والصيف ، ولكن البرد يوقف سيره والاصابة به مرة تحمي غالبا من الاصابة به ثانية

ولا يصل هذا الداء الى الانسان الا بطريق القناة الهضمية فهو في ذلك كالحي التيفودية سواء بسواء . ومما ينقله الى الطعام أو الشراب الذباب والنمل وغيرها الاعراض — مدة التفريخ هي يومان عادة أو ثلاثة أيام ، وقد تكون أكثر من ذلك أو أقل

وقد يسبق جميع الاعراض اسهال أو يصاب المرء بنحول وصداع ودوار وطنين وغير ذلك ، وتستمر هذه الحالة يوما أو اثنين أو ثلاثة ثم يشتد الاسهال دفعة واحدة وتزول الصفراء من البراز فيصير لونه كحساء الارز (أي مرق الارز المغلي) وتسمع في بطن المصاب قراقر كثيرة قليلا يكون معها ألم . وبعد الاسهال بساعة أو أكثر يتبدى القيء فلا يبقى في المعدة شيء ، ويصير لونه كالون البراز أي كحساء الارز أيضا ، ويشتمد العطش ويجف اللسان ويبيض ويتألم المريض من جس معدته ويصاب بتقلص مؤلم جدا في عضلات الساقين والقدمين أو الايدي والجذع (أي باقي الجسم) ثم يصاب المرء بالهمود (الهبوط) فيبرد الجسم ويزرق ، وتغور العينان ، ويبرد النفس وتنخفض الحرارة ويسرع النبض ويضعف جدا ولا يقدر المريض على الكلام ويزول الاسهال غالبا ولكن القيء يستمر ، ويقل افراز البول أو ينقطع مطلقا لشدة ضعف الدورة الدموية ولتقص مائة الجسم بالقيء والاسهال . وكثيرا ما يموت المصاب في هذا الطور

فإذا جاوزه ترتفع الحرارة تدريجياً ويعود لون الجلد الى أصله وترتفع العينان بعد الغرور ويتحسن النبض ويفرز البول ويزول الخطر شيئاً فشيئاً حتى يشفى المريض المضاعفات والعواقب كثيرة — منها: الالتهاب الرئوي أو الپليوراوي وموت بعض الاجزاء (غغرينا) وسقوطها كالصفن والقضيب أو الأنف، وظلمة القرنية وتقرحها الانذار — تختلف الوفيات من ٤٠ — ٦٠ في المئة . والمرض شديد الخطر على الصغار والشيوخ ومن كان ضعيف البنية أو سكيراً المعالجة — عند ظهور أعراض المرض الأولى تعطى الادوية الفايضة وأحسنها الأفيون

فإذا اشتد الاسهال والقيء وألم الساقين حقن المريض بالمورفين^(١) تحت الجلد وأعطى قطعاً صغيرة من الثلج لمصها أما في طور الهبوط فيعطى المنعشات المنبهات وما يملأ العروق مما سبق ذكره في باب النزف (صفحة ٥٥ من الجزء الاول) إما حقناً تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة وإما شرباً ، ويدفأ تدفئة جيدة بزجاجات الماء الساخن والاعطية الثقيلة وبالدلك للاطراف

وقد وجد الماجور [ليونارد روجس Leonard Rogers] أن الحقن بمحلول ملحي في الاوردة واعطاء البرمنجنات من الفم قد قلل الوفيات الى ٢٣ في المئة. وفائدة هذا الحقن أن يزيل الهمود ويقوى القلب ويعوض الجسم ما فقده من الاملاح. وأما البرمنجنات فيظن أنها تؤكسد سموم ميكروب الكوليرا وبذلك تبطل عملها . وتركيب هذا المحلول الملحي هو ١٢٠ قححة من ملح الطعام و ٦ قححات من كلوريد البوتاسيوم و ٤ قححات من كلوريد الكلسيوم، تذاب كلها في نصف لتر من الماء العقيم ثم يحقن منها نحو لترين في أحد أوردة الذراع (أعني عرق الباسليق الاوسط وهو الاكحل بالعربية) وتكفي عادة حقنة واحدة. فإذا عاد الهمود عدنا باخرى، ولكن اذا كان الهمود قليلاً فالأولى الحقن تحت الجلد. وتكون حرارة الحقنة

(١) هو أهم الاصول الفعالة في الافيون ، سمي بذلك من كلمة يونانية معناها « إله الاحلام » لانه يحدث نوماً مريحاً ، وأحلاماً لذيدة

٧٦٦ الوقاية من الكوليرا . وجوب تطهير المغسل شرعا وطبا [المنار: ج ١٠ م ١٨]

أعلى بقليل جدا من حرارة الجسم الطبيعية
أما طريقة إعطاء الپرمنجنات فهي أن يشرب المريض مقادير قليلة من محلول
پرمنجنات الكالسيوم بنسبة نصف قمحة في كل ٥٠٠ جرام ماء وتزاد هذه النسبة
تدريجيا الى ٤ أو ٦ قمحات

الوقاية — خير من العلاج ، وتكون بأمر :

(١) عزل المرضى وتطهير مواد قيثهم وبرازهم وسائر ما يستعملونه من ملابس
وأنية وفراش الخ، وإلقاء تلك المواد حيث نأ من تلويثها لأي شيء آخر
(٢) غسل الأيدي قبل مس أي طعام وتطهير جميع ما يأ كاه الأصحاء أو
يشربونه أو يستعملونه في ذلك كله من أواني وغيرها بالغلي وخصوصا ماء الشرب
فيجب غليه دائما ، ويجب تجنب التخمر وكل ما يفسد الهضم
(٣) إبادة الذباب والنمل ومنعهما من الوصول الى مفرزات المرضى ثم الى
طعام الأصحاء وشرابهم

(٤) عدم أكل شيء غير مطبوخ في زمن الوباء

(٥) عدم الإذن للناقلين بالاختلاط بغيرهم الا بعد خلوت مفرزاتهم من
الميكروب بأن يعلم ذلك بالبحث البكتيريولوجي الدقيق ، وبعد ذلك يستحمون
وتغلي ملابسهم ويلبسون غيرها جديدا . وكذلك يبحث عن [الحمة الاصحاء]
وهم الذين خالطوا بعض المرضى فوصل الميكروب الى أمعائهم ولم يصابوا بالمرض ،
فهؤلاء يعزلون وتطهر مفرزاتهم حتى تخلو من الميكروب

(٦) أن تدفن الموتى بعيداً جداً عن الاماكن المسكونة بشرط أن لا يتلوث بمجثهم
ماء الشرب أو غيره ، ويفتسل [المغسل] ويطهر يديه بالمحاليل المطهرة، وكذلك
تطهر ملابسه بالغلي

هذا ويرى بعض أئمة الدين وجوب الغسل بعد تغسيل الميت لما روي عن
النبي (ص) أنه قال «من غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ» ولعل المراد بالوضوء
هنا غسل اليدين كما في قوله (ص) «الوضوء قبل الطعام حسنة وبعد الطعام حسنتان»
وهذا كله مما يوافق قواعد الصحة كل الموافقة . ومثل [المغسل] كل من قام بدفن

الميت أو تمر يرضه قبل الوفاة فيجب عليه غسل يديه خصوصا قبل أكله
(٧) يعمل التلقيح الواقي لمن شاء بميكروبات الكوايرا حسب طريقة هافكين
[Haffkine] فيحقن أولا سنتيمتر مكعب وبعد أربعة أيام أو خمسة بحقن غيره
أقوى منه . ويصاب الانسان بعد الحقن بصداع وحمى وأنحطاط مدة ثلاثة أيام
أو أربعة عقب كل حقنة منهما . وما قيل في عيب الحقن الواقي من التفود يقال
مثله هنا أيضا

الكزاز — التيتانوس Tetanus

التيتانوس كلمة يونانية معناها التشنج أو التقلص وهو اسم داء يسمى بالعربية
[الكزاز]

ينشأ هذا الداء من باسيل مخصوص يوجد في الطين وغيره كأوساخ الحدائق
والاسطبلات ، طوله ٤ الى ٥ ميكرونات ونحوه ٤ و ٥ . من الميكرون وله أهداب ،
غير أنه قليل الحركة . ولا ينمي في جو فيه أثر من الأكسجين الخالص . ويتكون
في داخله حبيبات عند أحد طرفيه وهي كروية الشكل وأغلظ منه حتى شبه العلماء
هذا الميكروب عند تكون الحبيبة بمطرقة الطبل

الاسباب — يصيب هذا المرض الانسان في جميع الاعمار حتى الاطفال الرضع
عقب ولادتهم بقليل . وهو كثير الحصول في البلاد الحارة . والجنس الأسود أو
الأسمر أكثر عرضة له من غيرها . وأهم سبب لدخول الميكروب في الجسم إنما
هو الجرح أو السحج صغيرا كان أو كبيرا حتى ولو كان كوخز الأبرة

أما إصابة الاطفال الرضع به فسيبها الغالب قذارة ما يقطع به الحبل السري ،
أو تعرض السرة لشيء قدر

وقد يصيب بعض الناس بدون أن تشاهد في أجسامهم إصابة ، ولعل السبب
في ذلك دخول الميكروب من سحج بسيط جدا لم يلتفت اليه أحد أو دخوله من
بعض الاغشية المخاطية فقد شاهد بعض الباحثين حبيباته في رجيع الانسان وفي رجيع
الانعام والخيول وغيرها . والانسان والخيول أكثر الحيوانات إصابة به

وإذا دخل الميكروب من الجرح عاش حيث دخل مدة قصيرة ومات بعد بضعة أيام. وهو لا ينتشر في البنية البتة، وغاية ما يمكنه الوصول إليه هو بعض الغدد اللمفاوية القريبة من الجرح. وجميع الأعراض إنما تنشأ من امتصاص سمومه. وحييات هذا الميكروب تعيش عدة سنين ولو جفت وتقاوم درجة ٨٠° سنتجراد مدة ساعة ولكن درجة الغليان تقتلها بعد خمس دقائق وحامض الفنيك بنسبة ١٪ لا يهلك هذه الحبيبات في أقل من ١٥ ساعة ولذلك يجب تطهير الآلات الجراحية بالفلي مدة طويلة حتى يؤمن شره، فقد شوهد كثرة الإصابة بهذا الداء بعد عمل الخزام أو عقب الحقن تحت الجلد أو في العضلات خصوصا بمادة الكينين لتأثير هذه المادة في كريات الدم البيضاء وعاقتها عن قتل هذا الميكروب فيجد بيئة صالحة لنموه لا سيما وأن الأكسجين الخالص غير موجود في تلك البيئة

وسكان جزائر سليمان في المحيط الأعظم في الشمال الشرقي من استراليا قد عرفوا شيئا من هذه الحقائق، فلذلك يصنعون سهاماً ويفسسون طرفها في مادة لزجة ثم يلوثونها بقذارة المستنقعات ويجففونها فتوجد فيها بذور هذا الميكروب اللعين فإذا أصابت شخصا كانت السبب في موته غالبا

الأعراض — بعد دخول هذا الميكروب في الجرح ببضعة أيام يشعر المريض بيبس في قفاه وفي فكيه بحيث يتعسر عليه المضغ أو أن يفتح فاه وقد تستمر هذه الحال يوما أو يومين، وقد ينتقل إلى الطور الثاني بأسرع من ذلك، فتيبس عضلات الجذع يبسا شديدا وتيبس عضلات الأطراف يبسا قليلا ثم يشتد تيبس الظهر وانتباض عضلاته حتى يتقوس ويكون تقعره إلى الخلف، وتيبس كذلك عضلات البطن والصدر— حتى يتعسر التنفس— وعضلات الأطراف السفلى، وأما الأطراف العليا فيكون تيبسها حول الكتفين والرقبتين وتبقى حركة الأصابع ميسورة. وفي هذا الوقت يشتد تقلص الفككين حتى لا يمكن فتحهما إلا بشق الأنف، ومع ذلك لا يمكن الفصل بينهما بأكثر من ¼ بوصة. وتقلص كذلك عضلات الوجه حتى ينشأ من تقلصها ما يشبه الضحك، ويسمى هذا الضحك المؤلم عند الأطباء [ضحك مردينية] وهي تلك الجزيرة المشهورة في البحر الأبيض المتوسط لوجود

عشب سام فيها يذهب العقل ويحدث تشنجا في عضلات الفم يشبه الضحك
 فاذا وصل المرض الى هذا الحد صار المريض عرضة لاشتداد تقلص العضلات
 كلما مسه أي شيء ولو أطراف الاصابع أو كلما هز سريره . ومدة اشتداد هذا
 التقلص لحظات يتعسر عدها بالثواني وفيها يخشى عليه من الاختناق . والفترات
 بين هذه النوب تكون من نصف ساعة الى ساعة أو أكثر وكلما طال المرض نقصت
 وازدادت شدة التقلصات . ويكون المريض في تلك الفترات متألما جدا من انقباض
 عضلاته، ويكون تنفسه عسيرا ، وصوته ضعيفا ، ونبضه صغيرا سريريا، ولكن حرارته
 تكون عادة طبيعية غير انها قد ترتفع ارتفاعا فاحشا قبيل الوفاة ، وتستمر في الارتفاع
 حتى بعد الوفاة فتصل الى أكثر من ٤٣ درجة ويحتمس البول أيضا . ويكون احساس
 المريض طول مدة المرض على أمه وكذلك عقله الا قبيل الوفاة فقد يعتره الهذيان،
 وأكثر اصابات الكزاز (التيتانوس) تنتهي بالوفاة بعد يوم أو ١٢ يوما . وسبب الموت
 اما نهائة قوى المريض أو اختناقه لتشنج عضلات التنفس أو الحنجرة أو طرؤه
 بعض المضاعفات عليه كالتهاب الرئوي أو الشعبي . وقد تطول الحياة الى ٣ أو ٤
 أسابيع ، وقد يشفى المريض

الانذار — عدد الوفيات في الاحوال ذوات الجرح نحو من ٩٠٪ وفي
 الاحوال التي لم يشاهد فيها جرح نحو من ٥٠٪ والكزاز من الامراض القتالة
 جدا خصوصا عقب الاجهاض أو الوضع . وكلما كان الجرح شديدا أو متسعا كان
 الامل في الحياة ضعيفا جدا

المعالجة — يوضع المريض في الفراش في مكان مظلم لا حركة فيه ولا صوت،
 ويغذى بالسوائل وإن اضطررنا الى تغذيته بأنبوبة من أنفه أو بالحقن الشرجية،
 والاحسن أن تدخل الأنبوبة من بين أسنانه اذا كان بعضها مفقودا . ومن الاطباء
 من يقلع بعضها من أجل ذلك ولكنه عمل غير محمود

ومن الواجب تنظيف الجرح قبل كل شيء وتطهيره طهارة تامة لكي تقتل أو
 نزيل بقدر الامكان تلك الميكروبات منه ؛ ولكن مما يوجب الاسف أن ظهور
 الاعراض دليل كاف على أن السم قد وصل الى المراكز العصبية واتحد بها

وتعطى المسكنات بمقادير كبيرة ومن أحسنها بروميد البوتاسيوم والافيون أو المورفين . ومن الاطباء من ينشق المريض الكلوروفورم مرة أو مرتين في اليوم لتخديره حتى ترتخي عضلات الفكين وحينئذ يمكن تغذيته

وللكزاز مصلى يستخرج بطريقة استخراج مصلى الدفتيريا . وتجب المبادرة بحقنه بمقادير كبيرة جدا فيحقن منه ١٠ آلاف الى ٢٠ ألف وحدة في الاوردة أو ١٠ آلاف الى ٥٠ ألف تحت الجلد . ويتكرر الحقن يوميا حتى تتحسن الحالة . ومن الناس من يحقن هذا المصل في النخاع أو في المخ بإحداث ثقب في عظام الجمجمة يسمى عند الجراحين بالتربنة [Trephining] ولكنه عمل عسير مشكوك في نفعه والسبب في عسر شفاء هذا المرض أن سم الميكروب يسرى في الاعصاب المحركة ويلتصق بالمراكز العصبية التصاقا شديدا بحيث يتعذر ازالته منها بعد تمكنه ، زد على هذا ان بعضه يدور في الدم ويصل معه الى المراكز العصبية أيضا

الوقاية — عقب إصابة أي شخص بأي جرح يجب تنظيفه جيدا ثم تطهيره بكل الوسائل الممكنة واذا ظن أن الجرح تلوث بشيء قذر مما يحتمل وجود الميكروب فيه وجبت المبادرة الى الحقن قبل أن تبدئ الأعراض فيحقن ١٥٠٠ وحدة تحت الجلد ، ولذلك بادرت الحكومة الانكليزية باتباع هذه القاعدة مع جنودها ، قترى الاطباء الانكليز يحقنون كل جريح اشبهه في جرحه في أقرب وقت ممكن في ميدان القتال

وتطهير الجرح بالكي بالنار عقب حدوثه مباشرة كما تفعل العرب عمل محمود

الحمرة

اسم لداء يسمى باللغات الافرنجية [Erysipelas] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي (الجلد الاحمر) ويسمى الانكليز هذا المرض أيضا بنار القديس أنطونيوس [Anthony] لتوهم عامتهم أنه قادر على شفاؤها . وهو من الامراض المعدية الشديدة ، وينشأ من ميكروب من الشكل المسمى بـ « البزور السلسلية » [Streptococcus erysipclatis]

الاسباب — أعظم الاسباب المهيئة لهذا المرض وجود أي جرح بالجسم ؛ خل

منه هذا الميكروب الخبيث مهاصفر الجرح . وفي أحوال قليلة جدا يحدث هذا المرض بدون جرح ظاهر ، ولكن اذا دقق في البحث فلا بد من وجود أي منفذ الى الجسم ولو سحج بسيط جدا أو دمل صغير أو خدش كخدش الدبوس . والمدوى لا تنتقل إلا الى المسافات القصيرة

وهو يصيب الأطفال الرضع والكبار فوق الاربعين اكثر من غيرهم ولكنه لا يميز بين الذكر والانثى

ومما يجعل الشخص أكثر تعرضا له من غيره إدمان الخمر وأمراض الكبد والكلية المزمنة والضعف أو الفاقة وكذلك البرد والرطوبة وكثرة الازدحام خصوصا اذا كان المكان رديء الهواء أو قذرا . ومن الاسباب أيضا استعداد مخصوص في الشخص نجمل حقيقته فان هذا المرض كثيرا ما يعاود شخصا عدة مرات ، فالوقاية منه لا تطول مدتها

أما ميكروبه هذا البزري فهو عديم الحركة ، وقطر كل برة نحو ميكرون واحد . ويحصل الاقسام فيه في جهة واحدة فقط ولذلك تتكون منه السلاسل المذكورة . وهو يموت اذا بلغت الحرارة ٥٣° الى ٥٥° سنتجراد وعرض لها ١٠ دقائق

الأعراض — في الاحوال التي يتسرف فيها مشاهدة الجرح أو السحج نرى أن هذا المرض يصيب الوجه على الأكثر ولذلك كان وصفنا الآتي قاصرا على وصف هذا العضو اذا أصيب به

ومدة التفريخ أيام معدودة فهي في أكثر الاحوال من ٣ الى ٦ وان كانت تطول في بعضها . ويتبدى المرض عدة بقع شريفة أو رعدة وصداع وغثيان ويبيض اللسان ويحس المريض بالآلام عامة في جسمه ، وبعد بضع ساعات تظهر على الوجه بقعة حمراء مؤلمة خصوصا حيث يلتقي الجلد بالفشاء المحاطي كفتحة الفم أو الأذن أو الأنف . ثم تكبر هذه البقعة وترم ويشد احمرارها وألمها واذا ضغط عليها انبعجت ، ثم يمتد الورم بسرعة متفاوتة فترى أن السطح العالي الأحمر كأنه يسير في باقي الجلد . وفي بضعة أيام قد يغطي الوجه كله فتراه متفخا جدا وكذلك الجفون حتى تتدلى . وترم الاذنان والشوأة (فروة الرأس) وتكون غالبا فقاعات أو نفاخات ممتلئة بسائل

مصلي صديدي على الحديد أو الجفون ، وقد تنفجر قنزيد المصاب تشويها حتى تتعذر معرفته . وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة من المكان الملتهب وتكون مؤلمة، ويقال انها تلتهب حتى قبل ظهور التهاب الجلد

وتكون الحمى عالية جدا حتى تزيد عن الاربعين في اليوم الثالث والرابع . وفي السادس تميل للانخفاض فجأة ما لم يستمر التهاب الجلد أو يظهر التهاب جديد، فهي تابعة لحالة الالتهاب . وتكون الحمى مصحوبة بباقي أعراضها المعروفة

وهذا الالتهاب يمتد أيضا الى الأغشية المخاطية كاغشية الحلق أو اللوزتين وأحيانا الى أغشية الحنجرة حتى يتعسر التنفس والازدراد. ويعتري المريض الهذيان، وقد تطرأ عليه الغيبوبة . و بينما نرى الالتهاب يمتد في جهة قد نشاهده يشفى حيث ابتدأ وسبب الموت نهاكة القوى مع الهذيان والغيبوبة خصوصا في الشيوخ ومدمني الخمر وغيرهم ممن ذكرنا من قبل

وإذا شفي المريض تقشرت البشرة مكان الالتهاب ويستمر التقشر بضعة أيام، وكثيرا ما نشاهد سقوط شعر الشواة

المضاعفات والعواقب - منها: انخراجات وموت الجلد وسقوطه وضخامة الغدد اللمفاوية أو تقيحها - في النادر - والاختناق من تورم الحنجرة والالتهاب الرئوي أو الپليوراوي في بعض الاحوال وكذلك الالتهاب السحائي ويقال إن امتداد هذا المرض في الجلد تابع لسير الاوعية اللمفاوية ، ويقف الالتهاب في الغالب حيث يلتصق الجلد التصاقا شديدا بالانسجة التي تحته كما يحصل في الارية عند رباط [پوپارت Poupart]

وانذار هذا المرض في أكثر الاحوال حميد ، ولكن يختلف خطره باختلاف امتداد الالتهاب . وهو قاتل غالبا للشيوخ والسكريين وغيرهم ممن ذكرنا

المعالجة - المبدأ العام في معالجة هذا المرض هو استعمال المنعشات والمقويات للمريض ، فيعطى كثيرا من اللبن والمرق وغيرها من السوائل الغذائية ، وبعض المنعشات كالخمر - اذا لم يوجد ما يعني المسلم عنها - والنوشادر والاثير والاستركنين وغيره . وصبغة فوق كلوريد الحديد نافعة جدا في هذا المرض حتى كانوا يعدونها شفاء

قطبياً له ، فيعطى منها من ٣٠ - ٤٠ نقطة للشبان والكهول كل ٣ أو ٤ ساعات . وقد
وصى بعضهم أيضاً باستعمال الكينين . وظهرت نتائج حسنة من استعمال المصل المضاد
لبزور هذا المرض [Anti - streptococcus Serum] فيحقن منه تحت
الجلد مرة أو مرتين يومياً ١٥ أو ٢٠ سنتيمترا مكعباً . وهذا المصل يستخرج من
الحصان بطريقة تشبه استخراج مصل الدفتيريا ، غير أنها تختلف عنها في أنه في مصل
الدفتيريا يحقن الحصان بسم الميكروب ولكن هنا يحقن الحصان بنفس الميكروب حياً ،
لان ميكروب الدفتيريا يفرز سما في السائل الذي يربى فيه وأما ميكروب هذا المرض
فسمه كامن في جسمه فاذا حقن السائل الذي يربى فيه لا يفيد . وطريقة ذلك أن
يتوى ميكروب الحمرة بحقنه في عدة أرناب فيكون ما حقن في الاخير أقوى مما حقن
في الاول ويزرع من كل منها جزء من الميكروب فتكون قوته متفاوتة ، ثم يحقن الحصان
بأضعف هذه الميكروبات سما ، وتترقى منه تدريجاً الى أقواه . وفي نهاية سنة الحقن يؤخذ
مصل هذا الحصان فيكون فيه سم قاتل لميكروب الحمرة ، فاذا حقن المريض به أفاده
فائدة عظيمة

وإذا اشتدت الحمى كان استعمال الماء البارد أو الفاتر نافعا فيها أيضاً
وعلاج مكان الحمرة نفسه قليل الجدوى ، وغاية ما يعمل له أنه يدهن ببعض
المراهم أو نحوها كمرهم البوريك وإذا اشتد توتر الجلد جاز تشريطه قليلاً

النزلة الوافدة - الانفلونزا Influenza

الانفلونزا اسم ايطالي أولاتيني لمرض كانوا يظنون أنه من تأثير الكواكب .
في الانسان ، فلذا سموه بهذا الاسم الذي معناه (التأثير) ويسمي الاطباء المحدثون
من العرب هذا المرض بالنزلة الوافدة

الاسباب - هذا المرض كثيراً ما ينتشر في البلاد بشكل وبائي سريع

خصوصاً اذا كانت القرى مزدحمة فيصاب به في وقت واحد مئات من الناس

وميكروب هذا المرض من النوع الباسيلي (المستطيل) اكتشفه [بفيفر Pfiffer]

في سنة ١٨٩٢م وهو يوجد في بصاق المصابين وأنوفهم وقل أن يوجد في دمهم ، وهو

٧٧٤ أعراض النزلة الوافدة وانذارها وعلاجها. ميكروب الزكام [المنار: ج. ١٠ م ١٨٠]

من أدق الميكروبات وأصغرها حجماً فإن طولها ٠.٥ إلى ١.٥ ميكرون وهو ساكن لا حركة له ولا حبيبات، ولا يعيش إلا في الأكسجين. وكثيراً ما يصاحبه ميكروبات أخرى في هذا المرض. وإذا شفي المريض زالت منه الميكروبات بسرعة فلا يعدي بعد النفاة كالدفتيريا مثلاً، وهو ينتقل من شخص إلى آخر إذا اقترب منه بحيث يصل إليه بعض إفرازات الأنف أو الفم. والاستعداد لهذا المرض يختلف باختلاف الأشخاص فمنهم من يعاوده مراراً ومنهم من لا يمسهم مرة واحدة في حياتهم وكثير من الناس يطلقون اسم (انفلونزا) على كل النزلات التي تعقب البرد كالزكام أو السعال، ولكنه خطأ

الأعراض — مدة التفريح ساعات معدودة. ويبتدىء هذا المرض فجأة بألم شديد في الجبهة ومؤخر العينين وألم في عضلات القطن والفخذين وغيرها، وقل أن تحدث فيه رعدة. والحرارة ترتفع في ساعات قليلة إلى ٣٩° أو ٤٠° وتكون مصحوبة بيباقى أعراض الحمى، ويلتهب الحلق واللوزتان وتصبح رائحة النفس كريهة، وقد يكثر العرق ولكن الغالب أن يكون الجلد جافاً، وتضعف قوى المريض ويشد به الأرق والتألم. وقد يقتصر المرض على هذه الأعراض وتزول الحرارة فجأة بعد يوم أو يومين غير أن آلام الأطراف تستمر بعدها مدة وكذلك الضعف. وقد تطول مدة الحمى بضعة أيام، أو ينكس المريض. ومن الناس من يصابون فوق ذلك بالنزلات الشعبية أو الرئوية، ومنهم — وهم الأقل — من يصابون باضطراب في الجهاز الهضمي فيعتبرهم مغمص وقىء وإسهال وأحياناً اليرقان، ومنهم أيضاً من يصابون في جهازهم العصبي فيعتبرهم النعاس في أول الأمر والهديان ثم يزول عنهم النوم ويحل محله الأرق، وتشتد عندهم الآلام العصبية والعضلية

وقد يحصل في هذا المرض طفح في الجلد

وانذار هذا المرض في الغالب حميد

والعلاج كعلاج باقي الحميات سواء بسواء

أما الزكام والسعال العاديان فينشآن غالباً من ميكروب آخر من الشكل البزري

يسمى «البزور الصغيرة النزلية» [Micrococcus catarrhalis] وهو يوجد

[المنار: ج ١٠ م ١٨] الحمى المخية او الالتهاب السحائي الوبائي وأسبابه ٧٧٥

كثيرا في الانف والحلق في اصابات البرد وفي البصاق بعد السعال الناشئ من
النزلات الشعبية وقد يوجد في الاشخاص الاصحاء ويوجد أيضا في الاطفال اذا
أصيبوا بالنزلات الشعبية الرئوية

الحمى المخية الشوكية أو الالتهاب السحائي الوبائي

هذا المرض عرف أولا في [جنيفا Geneva] سنة ١٨٠٥ ومنذ سنة ١٨٦٠
صار منتشرا في الولايات المتحدة وألمانيا وغيرها . وهو كثيرا ما يشاهد أيضا في مصر
خصوصا في الاماكن التي يكثر فيها الازدحام كالسجون والمعاهد العلمية

ينشأ هذا المرض من [بزور مزدوجة Diplococcus] تسمى البزور السحائية
[Meningococci] تشاهد في الكريات البيضاء التي توجد في السائل المستخرج
من النخاع في هذا المرض ، وقد توجد هذه البزور أيضا خارج الكريات في السائل
نفسه، وأحيانا في دم المصاب وفي مفاصله اذا نهبت وكذلك في الرئتين اذا التهبتا
وفي الانف والحلقوم والاذن الوسطى. وهذا الميكروب اكتشف سنة ١٨٨٧ وهو يشبه
ميكروب السيلان ولا ينمو الا بوجود الاكسجين ولا في حرارة أقل من ٢٥° سنتجراد

الاسباب — يدخل هذا الميكروب من الحلقوم سواء أوصل اليه من الفم أم من الانف.
ويوجد في حلقوم المرضى والناقلين كذلك وفي حلقوم بعض الاصحاء المخالطين للمريض .
وهو يصيب الصغار اكثر من غيرهم حتى ان ٨٠٪ من المصابين منهم تجد أن عمرهم أقل
من ١٦ سنة وهـ ٥٪ فقط فوق ٢٥ سنة، ولا يميز بين الذكور والاناث. وهذا المرض كثير
الحصول في أزمته البرد، لان الناس في تلك الازمنة يضطرون الى السكنى في أماكن
محتبسة الهواء فيفسد وترتفع حرارته وتكثر رطوبته وبذلك يصير بيئة صالحة لنمو هذا
الميكروب الخبيث وان كان البرد الشديد يقتله، ولذلك لم يعرف هذا المرض بين سكان
المنطقة القطبية. ولهذا الهواء الفاسد تأثير سي في بنية المستنشقين له وهو يجذب بسخوته
الدم من الاحشاء الى ظاهر الجلد وذلك أيضا مما يضعف البنية ويعوق الاعضاء عن
آتمام وظائفها، فكأن الهواء الفاسد السخخن سبب للعدوى من وجهتين (١) كونه بيئة
صالحة لنمو الميكروب و(٢) كونه مضعفاً للبنية عن مقاومته ، مفسدا للصحة . ولولا

ذلك لما كثر انتشار هذا المرض في أزمدة الشتاء. ومن المشاهدات العجيبة في العدوى بهذا المرض أن الاشخاص الذين يكونون في جهة معينة من المريض يصابون به بينما غيرهم في الجهة الاخرى لا يصابون، وما ذلك الا لكون الهواء يهب على المريض من تلك الجهة التي فيها السليمون فيمر عليهم أولا ثم على المريض ويحمل ذرات فيها الميكروب من نفسه أثناء الكلام أو السعال ونحوهما الى الذين في الجهة الاخرى. وقد وجد أن نحواً من ٤٠ ٪ ممن يخاطون المريض قد يصيرون من (الحملة الاصحاء) الاعراض — في أحوال قليلة يتقدم المرض أعراض بسيطة كالصداع والغثيان، ولكن في اكثر الاحوال يتبدى هذا المرض فجأة بألم شديد في الدماغ ورعدة أحياناً فيضطر المريض في الحال لملازمة الفراش وترتفع الحرارة بسرعة حتى تصل الى ٤٠° ويشتد الصداع خصوصاً في مؤخر الرأس وتيبس عضلات القفا حتى يتعسر على المريض الانحناء الى الامام، ويبقى شاخصاً يبصره الى السماء، وكذلك يقمنس المصاب أي يتقوس الظهر ويكون تقميره الى الخلف، وتشنج الأيدي والارجل وتكثر الآلام في الظهر والاطراف ويكون الجلد حساساً وقد يرتخي الجفنان أو أحدهما الشلل فيها وربما يشعر المريض بألم في أذنه وطين أو صمم ويقل شمه ويعتريه النعاس فالهذيان فالغيوبة. وقد يصاب بنوبات تشبه الصرع فيتخبط كما يتخبط المصروع وفي كثير من الاحوال يظهر على وجهه ما يسمى بالحملة [Herpes] وهي فقاعات صغيرة ممتلئة بسائل. وتلتهب المفاصل أحياناً وقد نثقيح. ويتقرع البطن حتى يصير كالزورق، ويعظم الطحال ويكثر البول، وقد يوجد فيه زلال قليل أو أثر من السكر. وإذا رفع فخذ المريض — وهو ملقى على ظهره — بحيث يكون مع جسمه زاوية قائمة تعذر مد الساق حتى تكون مع الفخذ على خط مستقيم. وهذه العلامة — وتسمى علامة [كرنج Kernig] — من أهم ما يعرف به الالتهاب السحائي، وإذا مررت بأصبعك على جسم المريض ظهر خط أحمر حيث مرت الاصبع ويستمر نحو خمس دقائق أو أكثر ويسمى هذا الخط بالفرنسية [Tache Cérébrale] ومعناه [البقعة الحمية] وهي من أهم علامات الالتهاب السحائي أيضاً، وتنشأ من شال في أوعية الدم وهذا المرض خطر جداً على الحياة، وكثيراً ما يموت به المصابون بل منهم من

[المنار: ج ١٠ م ١٨] صفة الجثة بعد الموت به . معالجته واتقاؤه ٧٧٧

يموت في بضع ساعات أو بضعة أيام . وعدد الوفيات يختلف من ٣٠ الى ٧٠٪ .
ويوجد نوع آخر منه يصيب الاطفال الرضع فيقتلهم غالبا
وإذا شفي المريض منه قام غالبا بصمم أو عمى أو استسقاء في الدماغ مع صداع
وتشنجات وضعف شديد في العقل أو الجسم أو شلل بعض الاعضاء . وإذا أصاب
الصمم الاذنين قبل أن يتعلم الطفل الكلام بقي طول حياته أبكم أصم
وقليل من الناس من يشفي منه ولا يصيبه شيء

الصفة التشريحية — إذا شرحت الجثة بعد الوفاة من هذا المرض يُشاهد
التهاب حاد في الأم الحنون للمخ والنخاع الشوكي قترى الصديد والمواد اللفافية
متراكمة على سطح المخ في شقوقه (أي ما بين التلافيف) ويكون السطح الخلفي
للنخاع ملتهبا أكثر من السطح الامامي وخصوصا القسم القطبي منه . وفي بطينات
المخ يشاهد مصل عكر أو صديد، وفي القشرة السنجابية تقط نزفية أو بثور

وترى الرئتين والكبد والطحال والكليتين جميعا محتقنة مع استحالة شحمية في
خلايا الكلية واستحالة حبيبية في ألياف العضلات الاختيارية . وقد نرى أيضا
تنظا نزفية في الشغاف والپليورا وأحيانا تقيحا في المفاصل

وكل هذه التغيرات المرضية التي تشاهد في الاحشاء ما عدا المخ والنخاع هي
تابعة لالتهاب السحايا وليست من أصل المرض وإنما تنشأ من سموم الميكروب ومن
شدة ارتفاع الحرارة ونحو ذلك

المعالجة — أحسن علاج لهذا الداء استعمال المصل الخاص به فيصفي جزء
من السائل الذي في النخاع بالبرز القطبي ويستعاض عنه بحقن ٣٠ سنتيمترا مكعبا كل
يوم أو كل يومين بحسب شدة المرض

والبرز القطبي وحده نافع في هذا المرض لتخفيف الضغط على المراكز العصبية
بسحب بعض المواد الالتهابية ولإزالة بعض سموم المرض

وباقى علاج هذا المرض كعلاج سائر الحميات ، ومن النافع فيه أيضا استعمال
مركبات الزئبق ويودور اليوتاسيوم في بعض الاحوال

انوقاية — عزل المريض كما تقدم في الحميات وتطهير كل افرازاته واتقاء القرب منه

(المنار: ج ١٠) (٩٨) (المجلد الثامن عشر)

والسكنى في الاماكن النقية الهواء ذات النوافذ الكثيرة من أحسن ما يتقى به هذا الداء. فلذا يجب تهوية الاماكن المسكونة ليلا ونهارا صيفا وشتاء . ولا يتوهم أحد أن الهواء المطلق الذي نرغب فيه هو مما يسمونه « بنيارالهواء » ويقولون إنه يجب اتقاؤه بل التيار الضار يكون بتعريض جزء من الجسم لهواء يغير باقي الهواء المحيط بالجسم في سرعته وفي درجة حرارته ، كالجلوس امام إحدى النوافذ من بيت دافئ مع تعريض جزء من البدن لهواء النافذة الباردة . وأما خروج الانسان الى الاماكن الطلقة لهواء كالفلوات والبحار والمكث فيها زمنا مآ فإنه لا يضر الصحيح البنية خصوصا اذا كان جسمه مدفأ جيدا بالملابس الكثيرة الجافة ، ولكن اذا ابتلت هذه الملابس بالعرق أو بالماء خيف على المرء من ضرر البرد بالمكث في الهواء البارد .

الجدام Leprosy

مرض شهير منذ العصور الغابرة سمي بذلك في العربية لانه يبتر بعض الاعضاء ، وهو من الأمراض المزمنة المتعدرة الشفاء ، ينشأ من ميكروب من الشكل الباسيلي اكتشفه [هانسن Hansen] سنة ١٨٧٩ م يشبه ميكروب الدرن من عدة وجوه . وحقن هذا الميكروب في الحيوانات لم ينجح في احداث المرض فيها ما عدا القردة فانها تصاب باصابة موضعية وقتية ، ويوجد الميكروب في دم المجدوم وفي الجلد والاغشية المخاطية والاعصاب والغدد اللمفاوية والحنجرة والكبد والطحال والخصيتين والكليتين ، ونادرا في الرئتين ، ولا يوجد في العظام ولا المفاصل ولا العضلات

الاسباب — هذا المرض قليل الوجود في أوربة ماعدا بلاد الترويح ويوجد في كثير من البلدان الافريقية والآسيوية والامريكية وكثير من جزائر المحيط الهادئ ، وهو يصيب الذكور أكثر من الاناث ، والصغار قبل سن الثلاثين أكثر من غيرهم ، ومن النادر جدا أن يصيب الاطفال . وللوراثة بعض التأثير في احداثه

يدخل ميكروب هذا الداء الى الجسم من منفذ أو أكثر من المنافذ الآتية :
الانف أو أعلى الجهاز التنفسي أو الفم أو اللوزتين أو سحجات الجلد أو الجهاز التناسلي
ومن العلماء من يرى أن بعض الحشرات تنقل هذا المرض من شخص الى

آخر، فقد وجد ميكروبه في البعوض (الناموس) والبق . ولم يشاهد ميكروبه في الارض ولا في الهواء^(١) ولا في الطعام ولا في الشراب ويرى بعض العلماء ان الافراط في أكل السمك خصوصا الفاسد مما يهيء الجسم لقبول هذا الميكروب الخبيث ويسكن هذا الميكروب في جميع أجزاء جسم المصاب حيث توجد أنسجة مريضة به ويخرج من جسم المجدوم في مخاطه ودموعه ولعابه ولبنه ومنيه وافرازات الاحليل والمهبل . وفي البراز يل يخرج أيضا مع خلايا البشرة التي تنفصل بالتدرج من الجلد . هذا فضلا عن خروجه بالضرورة مع ما ينسكب من قروح المريض ولكن أهم الاشياء التي يوجد فيها الميكروب هو افراز الانف فانه يوجد فيه بكثرة عند أقل بحث فيه

الاعراض — يبدأ هذا المرض بتوعك عام مع حمى خفيفة وتكسر في الجسم ثم تظهر بقع حمراء في الجلد قطرها يبلغ من نصف بوصة الى ثلاث أو أربع بوصات منتفخة قليلا ومستديرة أو غير منتظمة ، وقد يتكون من هذه البقع الحمراء حلقات وذلك بشفاء الجلد الذي في وسطها ، وتزول هذه البقع الحمراء أيضا اذا زالت الحمى ، وكثيرا ما تترك خلفها آثارا ملونة أو بيضاء . وقد تعود الحمى وتظهر هذه البقع آنا بعد آن . وبعد ذلك تنقسم أعراض المرض الى قسمين فيصاب المريض اما بالجدام الدرني أو بالجدام الخدري ، وقد يجتمع فيه النوعان

أما في الجدام الدرني فتظهر في الجلد درنات مرتفعة حجمها قدر حبة اللحمص أو البندق أو اكبر — تظهر أثناء ظهور البقع الحمراء أو بعدها بقليل . وهذه الدرنات قد تمتد زمنا طويلا وقد تزول تاركة خلفها بقعا ملونة، وكثيرا ما تتأكل فيتكون منها قروح يسيل منها صديد (أي سائل رقيق) قليل وهذه الدرنات تظهر على الاكثر في الوجه وفي ظهر اليدين والقدمين وغير ذلك ، قشوه الوجه ، وتغلظ الحواجب والانف والحدود والآذان ويكون شكل الوجه كوجه الاسد . ولذلك يسمى هذا

(١) اللهم إلا ما كان حول المريض مباشرة فقد توجد فيه ذرات من مخاطه حاملة لهذا الميكروب

المرض عند المصريين بالأسد أيضا

وكثيرا ما تتقرح الجفون حتى يصل المرض الى طبقات العين وان كان العصب البصري والشبكية والزجاجية والبلورية كلها تنجو منه عادة . وتصيب الدرنات أيضا الاغشية المخاطية للفم والحلق والحنجرة والانف فيغلظ الصوت أو يضعف . وهذه القروح قد يزداد تأكلها حتى تصيب الاوتار فتقطعها والعظام فتتخرها والمفاصل فتفتتها وبذلك تبتتر بعض الاجزاء

أما الجذام الحديري فتكون اصابة الاعصاب فيه أكثر ، وفي أول الداء يحصل احساس في بقع كثيرة من الجسم يشبه الاحساس بمشي النمل ووخز الابر يعقبه خدر ويكون الجلد في البقع المصابة اما أكد (باهتا) أو ملونا ويضعف الشعر ويزول لونه ويكون سطح الجلد ناعما برأقا ، وتضخم الاعصاب حتى يمكن الاحساس ببعضها بغاية السهولة وذلك لالتهابها بسبب المرض . وبسبب مرض الاعصاب تضمحل العضلات خصوصا ما بين مشط اليدين والقدمين ، وترتخي الايدي والاقدام ويكون شكل اليد كبرثن الاسد^(١) وقد يحصل في هذا النوع من الجذام قروح فوق المفاصل أيضا فتبتتر الاعضاء خصوصا أطرف الايدي والاقدام وينجو من هذا البتر السلاميات الاولى للاصابع غالبا . وكثيرا ما تشفى هذه القروح فتبقى اليد بالسلاميات الاولى فقط

وسير هذا الداء موجب لليأس ويجعل الشخص المجذوم مكروها عند الناس مخيفا لهم بمنظره — وبعد زمن قد يمتد الى ١٥ سنة أو أكثر — يموت المصاب غالبا بمضاعفات المرض أو بطروء السل الرئوي أو التهاب الكلى أو بالدوسنطاريا وغير ذلك الانذار — هذا المرض لم يعرف أن احدا أصيب به وشفي منه ، غاية الامر انه قد تتلطف الاعراض ويقف الداء مدة مآ

المعالجة — تعالج الاعراض بالطرق الطبية المعروفة عند الاطباء ، وتعطى للمريض الاغذية الجيدة السهلة الهضم ، ويوضع في مكان نقي الهواء بمعزل عن الناس . ومما ينفع فيه بعض النفع زيت كبد الحوت وزيت [حب الشلمغرا Chaulmoogra]

(١) البرائن للسابع بمنزلة الاصابع للناس

المنازل: ج ١٠ م ١٨] التعارض والترجيح بين أحاديث العدوى ٧٨١

وجرعه في اليوم تبدئ من ٢٠ نقطة الى درهمين ويجب تعاطيه لمدة سنتين على الأقل . وهناك علاجات أخرى كاللحقن باللقاح ونحو ذلك ولكنها غير محقق نفعها ويجب مدة المرض استعمال المطهرات للقروح وتضميدها جميعا

الوقاية — لما كانت كيفية العدوى بهذا الداء غير معروفة بالضبط يجب عزل المرضى والاحتراس من كل من يلامسهم أو يوجد معهم ، وهذا غاية ما يمكن أن يقال الآن في أسباب الوقاية من هذا الداء . وفي الحديث الصحيح « فرّ من المجذوم فرارك من الاسد » *

(* المنار : رواه البخاري من حديث أبي هريرة معلقا — او موصولا على طريقة ابن الصلاح — ووصله آخرون واخرج ابن خزيمة له شاهدا من حديث عائشة . ويؤيد ما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الشريد عن ابيه قال : كان في وفد ثقيف مجذوم فأرسل اليه رسول الله (ص) « إنا قد بايعناك فأرجع » واختلف العلماء في الجمع والترجيح بين هذه الأحاديث وما في معناها كحديث أبي هريرة في الصحيحين « لا يوردن ممرض على مصحح » (الممرض بصيغة اسم الفاعل صاحب الابل المريضة بالجرب مثلا والمصحح صاحب الابل الصحيحة) وحديث النهي عن دخول ارض فيها الطاعون . وبين حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيره « لا عدوى » وحديث جابر ان النبي اخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال « كل » رواه الترمذي . فبعضهم يرجح العدوى ويؤول ما يعارضها وبعضهم يعكس ومما قاله هؤلاء ان ابا هريرة رجح عن حديث « لا عدوى » وانكره كما في البخاري . و بان الترمذي ذكر الاختلاف في حديث جابر على راويه ورجح وقفه على عمر . واقرب ما قالوه الى الطب والعقل قول البيهقي وغيره ان العدوى المنفية ما كانت تعتقده الجاهلية لا العدوى التي تحصل بالاسباب بقدر الله تعالى . وقول ابن قتيبة ومن واقفه : ان الامر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لامر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بطريق الملامسة والمخالطة وشم الرائحة ولذلك يقع في كثير من الامراض في العادة انتقال الداء من المريض الى الصحيح بكثرة المخالطة . حكاهما الحافظ ابن حجر في شرح البخاري . وذكر أن جمهور الفقهاء اثبتوا الخيار لكل من الزوجين في فسخ النكاح اذا وجد الجذام في الآخر

المعرفة بالله تعالى

٢

فصل

قال ﴿ الدرجة الثانية معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات ، وهي تثبت بعلم الجمع ، وتصفو في ميدان الفناء ، وتستكمل بعلم البقاء ، وتشارف عين الجمع ﴾ نشرح كلامه ومراده أولاً ثم نبين ماله وعليه فيه ، فكانت هذه الدرجة عنده أرفع مما قبلها ، لأن التي قبلها نظر في الصفات وهذه متعلقة بالذات الجامعة للصفات ، وان كانت الذات لا تخلو عن الصفات فهي قائمة بها ، ولا تقول : ان صفاتها عنها ولا غيرها ، لما في لفظ الغير من الاجمال والاشتباه ، فان الغيرين قد يراد بهما ماجاز افتراقهما ذاتا أو زمانا أو مكانا ، وعلى هذا فليست الصفات مغايرة للذات ، ويراد بالغيرين ، اجاز العلم باحدهما دون الآخر فيفترقان في الوجود الذهني لافي الوجود الخارجي ، فالصفات غير الذات بهذا الاعتبار لانه قد يقع الشعور بالذات حال ما يغفل عن صفاتها فتتجرد عن صفاتها في شعور العبد لافي نفس الامر . وقوله « مع اسقاط التفريق بين الصفات والذات » التفريق بين الصفات والذات في الوجود مستحيل ، وهو ممكن في الشهود بان يشهد الصفة ويذهل عن شهود الموصوف ، أو يشهد الموصوف ويذهل عن شهود الصفة ، فتجريد الذات أو الصفات انما يمكن في الذهن ، فالمعرفة في هذه الدرجة تعلقت بالذات والصفات جميعا فلم يفرق العلم والشهود بينهما ، ولا ريب ان ذلك أكل من شهود مجرد الصفة أو مجرد الذات . ولا يريد الشيخ انك تسقط التفريق بين الذات والصفات في الخارج والعلم بحيث تكون الصفات هي نفس الذات (١) فهذا لا يقوله الشيخ وان كان كثير من أرباب الكلام يقولون ان الصفات هي الذات . فليس مرادهم ان الذات نفسها

(١) في ب « بحيث تكون الذات هي نفس الصفات »

صفة ، فهذا لا يقوله عاقل ، وإنما مرادهم ان صفاتها ليست شيئاً غيرها . فان أراد هؤلاء ان مفهوم الصفة هو مفهوم الذات فهذا مكابرة ، وان أرادوا انه ليس هاهنا أشياء غير الذات انضمت اليها وقامت بها فهذا حق

والتحقيق ان صفات الرب جل جلاله داخلة في مسمى اسمه ، فليس اسمه الله والرب والإله أسماء لذات مجردة لا صفة لها البتة ، فان هذه الذات وجودها مستحيل ، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها ، واسم الله سبحانه والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال ، كالعلم والقدرة والحياة والارادة والكلام والسمع والبصر والبقاء والقدم وسائر الكمال الذي يستحقه لذاته ، فصفاته داخلة في مسمى اسمه ، فتجريد الصفات عن الذات والذات عن الصفات فرض وخيال ذهني لاحقيقة له ، وهي أمر اعتباري لافائدة فيه ولا يترتب عليه معرفة ولا ايمان ولا هو علم في نفسه ، وبهذا أجاب السلف الجهمية لما استدلوا على خلق القرآن بقوله الله (الله خالق كل شيء) فاجابهم السلف بان القرآن كلامه وكلامه صفاته وصفاته داخلة في مسمى اسمه كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ووجهه ويديه ، فليس « الله » اسما لذات لانعت لها ولا صفة ولا فعل ولا وجه ولا يدين ، ذلك إله معدوم مفروض في الأذهان لا وجود له في الأعيان كإله الجهمية ، الذي فرضوه غير خارج عن العالم ولا داخل فيه ولا متصل فيه ولا منفصل عنه ولا محايث له ولا مباين ، وكإله الفلاسفة الذي فرضوه وجوداً مطلقاً لا يتخصص بصفة ولا نعت ولا له مشيئة ولا قدرة ولا ارادة ولا كلام ، وكإله الاتحادية الذي فرضوه وجوداً سارياً في الموجودات ظاهراً فيها هو عين وجودها ، وكإله النصارى الذي فرضوه قد اتخذ صاحبة وولداً وتدرع بناسوت ولده واتخذ منه حججاً ، فكل هذه الآلهة ماعلمته أيدي أفكارها . وإله العالمين الحق هو الذي دعت اليه الرسل وعرفوه باسمائه وصفاته وأفعاله فوق سمواته على عرشه بأئن من خلقه ، موصوف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، لا مثال له ولا شريك ولا ظهير ، ولا يشفع عنده أحد الا باذنه ، هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، غني بذاته عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بذاته

٧٨٤ أركان الدرجة الثانية للمعرفة [المنار: ج ١٠ م ١٨]

قوله « وهي تثبت بعلم الجمع ، وتصفر في ميدان الفناء » يعني ان هذه المعرفة الخاصة تثبت بعلم الجمع ، ولم يقل « مجال الجمع ولا بعينه ولا مقامه » فان علمه أولاً هو سبب ثبوتها ، فان هذه المعرفة لا تنال الا بالعلم فهو شرط فيها ، وسيأتي الكلام — ان شاء الله تعالى — في الجمع عن قريب . فاذا علم العبد انفراد الرب سبحانه بالازل والبقاء والفعل وعجز من سواه عن القدرة على ايجاد ذرة أو جزء من ذرة ، وانه لا وجود له من نفسه فوجوده ليس له ولا به ولا منه ، وتوالي هذا العلم عن القلب لا يسقط ذكر غيره سبحانه عن البال والذكر ، كما سقط غناه ورؤيته ومملكته وقدرته ، فصار الرب سبحانه وحده هو المعبود والشهود المذكور ، كما كان وحده هو الخالق المالك الغني الموجود بنفسه أزلاً وأبداً ، وأما ما سواه فوجوده وتوابع وجوده عارية ليست له ، وكما قي العبد عن ذكر غيره وشهوده صفت هذه المعرفة في قلبه ، فلماذا قال « وتصفر في ميدان الفناء » واستعار الشيخ للفناء ميداناً وأضافه اليه لاتساع مجاله لأن صاحبه قد انقطع التفاته الى ضيق الاثيار ، انجذبت روحه وقلبه الى الواحد القهار ، فهي تجول في ميدان أوسع من السماوات والأرض ، بعد ان كانت مسجونة في سجون المخلوقات . فاذا استمر له عكوف قلبه على الحق سبحانه ونظر قلبه اليه كأنه يراه ، ورؤية تفرد بالخلق والامر والنفع والضر والعطاء والمنع — كملت في هذه الدرجة معرفته ، واستكملت بهذا البقاء الذي أوصله اليه الفناء وشارفت عين الجمع بعد علمه ، فغاب العارف عن معرفته بمعرفته وعن ذكره بمد كوره وعن محبته وارادته بمراده ومحبوبه فذلك قال :

« ويستكمل بعلم البقاء و يشارف عين^(١) الجمع » ولهذا المعرفة ثلاثة أركان^(٢)

أشار اليها الشيخ بقوله « ارسال الصفات على الشواهد ، وارسال الوسائط على المدارج ، وارسال العبارات على المعالم » شواهد الصفات هي التي يشهد بها ويدل عليها من الكتاب والسنة وشهادة العقل والنظر وآثار الصنعة فاذا تمكن العبد في التوحيد علم ان الحق سبحانه هو الذي دله صفات نفسه بنفسه ، لم يعرفها العبد من ذاته ولا بغير تعريف الحق له بما أجراه له سبحانه على قلبه من معرفة تلك الشواهد

(١) في المتن « بعين الجمع » (٢) في المتن « وهي ثلاثة أركان : ارسال ، نسخ

والانتقال منها الى شهود^(١) المدلول عليه ، فهو سبحانه الذي شهد لنفسه في الحقيقة ، اذ تلك الشواهد صدرها منه فشهد لنفسه بنفسه بما قاله وفعله وجملة شأها معرفته . فهو الاول والاخر ، والعبء آلة محضة ومنفعل ومحل لجريان الشواهد وآثارها وأحكامها عليه ليس له من الامر شيء ، فهذا معنى ارسال الصفات على الشواهد ، فاذا أرسلها عليها تبين له ان الحكم للصفات دون الشواهد بل الشواهد هي آثار الصفات ، فهذا وجه

ووجه ثان أيضا وهو أن الشواهد بوارق وتجليات تبدو للشاهد ، فاذا أرسل الصفات على تلك الشواهد تواري حكم تلك البوارق والتجليات في الصفات وكان الحكم للصفات فحينئذ يترقى العبد الى شهود الذات شهوداً علمياً عرفانياً كما تقدم قوله « وارسال الوسائط على المدارج » الوسائط هي الاسباب المتوسطة بين الرب والعبد التي بها تظهر المعرفة وتوابعها ، والمدارج هي المنازل وال مقامات التي يترقى العبد فيها الى المقصود ، وقد تكون المدارج الطرق التي يسلكها اليه ويدرج فيها فارسال الوسائط التي من الرب على المدارج التي هي منازل السير وطرقه توجب كون الحكم لها دون المدارج فيغيب عن شهود المدارج بالوسائط وقد غاب عن شهود الوسائط بالصفات فيترقى حينئذ الى شهود الذات ، وحقيقة الامر أن يعلم أن الرب سبحانه ما أطلعه على معرفته الا بشواهد منه سبحانه وبوسائط ليست من العبد ، فهو قادر على قبض تلك الشواهد والوسائط وعلى اجرائها على غيره فان الامر كله له وتلك الوسائط لا توجب بنفسها شيئاً قال الله تعالى لرسوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً الا رحمة من ربك - وقال للامة على لسانه - قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به - وقال تعالى - قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) ويعلم العبد ان ما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله من شواهد معرفته والايمان به هي معالم يهتدي بها عباده اليه ويعرفون بها كماله وجلاله وعظمته ، فاذا تيقنوا صدقه ولم يشكوا فيه وتفظنوا لآثار أسمائه وصفاته في أنفسهم وفي سواهم انضم شاهد

(١) في ب « المشهود »

٧٨٦ الدرجة العليا من المعرفة لخاصة الخاصة [المنار: ج ١٠ م ١٨]

العقل والفترة الى شاهد الوحي والشرع ، فاتقلوا حينئذ من الخبر الى العيان ، فالعبارات معالم على الحقائق المطلوبة ، والمعالم هي الأمارات التي يعلم بها المطلوب ، فاذا أوصل العارف كل معنى مما تقدم ذكره على مقصوده وصرف همه الى مجريه وناصبه ومصدره اجتمع همه عليه وتمكن في معرفة الذات التي لها صفات الكمال ونعوت الجلال . ومقصوده أن يبين في هذه الاركان الثلاثة حال صاحب معرفة الذات وكيف ترتب الاشياء في نظره ويترقى فيها الى المقصود .

مثال ذلك ان الشواهد أرسلته الى الصفات بارسالها عليها فانتقل من مشاهدتها الى مشاهدة الصفات والوسائط التي كان يراها آية على المداير انقل فانتقل منها الى المداير ولم يلقها وإنما تعلق بما هي آية له . والعبارات التي كانت عنده ألفاظا خارجة عن المعبر عنه صارت أمارات توصله الى الحقيقة المعبر عنها . فهذه الاركان الثلاثة يصير من أهل معرفة الذات عنده

قوله ﴿ وهذه ^(١) معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة ﴾ أي تدرك وتحس من ناحية الحقيقة، والايناس الادراك والاحساس قال الله تعالى (فان آنتم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) وقال موسى (اني آنت من جانب الطور نارا) والمقصود ان العارف اذا تعلق همه بافق الحقيقة وأعرض عن الاسباب والوسائط — لا أعراض جحود وانكار بل أعراض اشتغال ونظر الى عين المقصود — أوصله ذلك الى معرفة الذات الجامعة لصفات الكمال والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

قال ﴿ الدرجة الثالثة معرفة مستغرقة في محض التعريف ، لا يوصل اليها

الاستدلال ، ولا يدل عليها شاهد ، ولا تستحقها وسيلة ، وهي على ثلاثة أركان:

مشاهدة القرب ^(٢) والصعود عن العلم ، ومطالعة الجمع ، وهي معرفة خاصة لخاصة ﴿ أما كانت هذه المعرفة عنده أرفع مما قبلها لان ما قبلها متعلقة بالوسائط والشواهد متصلة الى المطلوب ، وهذه متعلقة بعين المقصود فقط ، طوية للوسائط والشواهد ،

(١) في المتن «وهي معرفة» الخ (٢) في المتن «القلوب» ولعلها غلط

فالوسائط صاعدة عنها اليه وهي غالبة على حال العارف وشهوده وقد استغرقت ادراكه لما هو فيه بحيث غاب عن معرفته بمعرفته وعن ذكره بذكره وعن وجوده بموجوده فنقله « مستغرقة في محض التعريف » المعرفة صفة العبد وفعلة، والتعريف فعل الرب وتوفيقه، فاستغرقت صفة العبد في فعل الرب وتعريفه نفسه لعبده. وقوله « لا يوصل اليها بالاستدلال » يريدان هذه المعرفة في الدرجة الثالثة لا يوصل اليها بسبب فان الأسباب قد انطوت فيها، والوسائط قد انقطعت دونها، فلا يدل عليها شاهد غيرها، بل هي شاهد نفسها، فشاهدها وجودها ودليلها نفسها. ولا تمجّل بانكار هذا فالأمور الوجدانية كذلك ودليلها نفسها وشاهد ما حقيقها، فتصير هذه المعرفة للعارف كالأمور الوجدانية. كاللذة والفرح والحب والخوف وغيرها من الأمور التي لا يطلب من قامت به شاهدة عليها من سوى أنفسها

ولمعر الله ان هذه درجة من المعرفة منيفة ورتبة شريفة تقطع دونها أعناق مطايا السائرين، فاذلك لا يوصل اليها بالاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة، والأعمال والأحوال والمقامات كلها وسائل وهي لا تستحق هذه الدرجة من المعرفة وإنما هي فضل من الفضل كله بيده وهو ذو الفضل العظيم، وكون الوسائل المذكورة لا تستحقها لا تمنع من القيام بها على أتم الوجوه وبذل الجهد فيها، ومع ذلك فلا تستحقها الوسائل

قوله « وهي على ثلاثة أركان : مشاهدة الترب والصمود عن العلم ومطالعة الجمع » أما كانت هذه الثلاثة أركاناً لما لان واجب هذه المعرفة قد وصل من الترب الى مقام يليق به بحسب معرفته فكأنما كانت معرفته أتم كان قرب به أتم، فان شهود الوسائط والوسائل حجاب عن عين القرب، وإنفاؤها ووجودها حجاب عن أصل الأيمان. وأما صعوده عن العلم فليس المراد به صعوده عن أحكامه فان ذلك سقوط وزول الى الخفيض الأدنى، لا صعود الى المطلب الأعلى، وإنما المراد انه يصعد بأحكام العلم عن الوقوف معه وتوسيطه بيده وبين المطالب فان الوسائط قد طوي بساطها في هذا الشهود والمرفان، أعني بساط الوقوف معها وانظار اليها فيدرك مشهوده ومعرفة به سبحانه لا بالعلم والخبر بل بالمناسبة الهدى والهبان، وان كان لم يصل الى

٧٨٨ جمع الوجود وجمع الشهود وجمع الارادة [المنار: ج ١٠ م ١٨]

ذلك الا بالعلم والخبر لكنه قد صعد من العلم والخبر الى المعلوم المخبر عنه .
وأما مطالمة الجمع فهي الغاية عند هذه الطائفة ، ونحن لانكر ذلك لكن : أي
جمع هو ؟ هل هو جمع الوجود كما يقوله الانحادي ؟ أم جمع الشهود كما يقوله صاحب
الفناء في توحيد الربوبية ؟ أم هو جمع الارادة كلها في مراد الرب تعالى الديني الامرى ؟
فالشأن في هذا الجمع الذي مطالته من أعلى أنواع المعرفة . نعم ها هنا جمع آخر مطالته
هي كل المعرفة وهو جمع الافعال في الصفات وجمع الصفات في الذات وجمع الاسماء
في الذات والصفات والافعال ، فطالمة هذا الجمع هي غاية المعرفة وأعلى أنواعها ،
وهي لعمر الله معرفة خاصة الخاصة ، والله المستعان وبه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله إهـ

[المنار]

ان أكثر الناس يرون هذا الكلام غريباً لا يكاد يفهم ، ويعدون هذه المعرفة
خيالية لانكاد تعقل ، ومثل هؤلاء العارفين في نظر جمهور أهل العلوم النظرية والفنون
العملية ، كمثل خواص الادباء الذين يتمتعون بجمال المعاني الدقيقة ، متجلية في العبارات
الرشيقة ، في نظر عوام أهل البلادة . ذوي العي والفهاة ، — أو كمثل بعض أهل
الذوق السليم ، العاشقين لجمال هذا الكون العظيم ، يؤثمون روضة غناء ، أو غابة غيباء ،
يسابقون اليها أشعة الشمس ، ليمتعوا بجمالها الحس والنفس ، — في نظر مجرم فظ ،
غليظ الطبع ، لا يرى حظاً من تلك الروضة الا أن يبحث أزهارها ، ويقطع أشجارها ،
ليتخذ الاولى علفاً لحماره ، والثانية وقوداً لناره ، أو كمثل المغرمين بآلات الطرب ،
وسماع الالحان في المشق والادب ، في نظر العابد المتبتل ، أو المعجوز الثاقل ،

على أن جميع اللذات المعنوية ما أشرنا اليها منها وما لم نشر اليه هي مبادئ
ووسائل لتلك اللذة الروحية العليا التي يجدها العارفون بالله تعالى ، فكل ما في الكون
من الجمال والكمال فهو بعض جماله وكمال عز وجل ، اذ هو صنع الله الذي أتقن
كل شيء ، وكل طائفة من طوائف البشر المرتقية تتمتع بنوع من أنواع جمال
الكون والعارفون بالله هم الذين يتمتعون بكل نوع من تلك الانواع تتمتعاً ارقى واعلى
من تتمتع المفردين بالارتقاء فيه ، ويتمتعون بما هو أعلى من ذلك وأجل واكمل ،
وقد ضرنا لذلك المثل ، والله اعلى واجل ؛

باب الشعر والادب

شرف العلم وشمائل العلماء

نبدأ هذا الباب بقصيدة القاضي عبد العزيز الجرجاني الشهيرة
في شرف العلم وأخلاق العلماء وشمائلهم قال: -

يقولون لي فيك اتقباض وانما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمه عزّة النفس اكرماً
ولم أقض حقّ العلم ان كان كلما بدا طمع صيرته لي سلماً
وما زلت منجازاً بمرضي جانباً من الذلّ أعنّد الصيانة منما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكنّ نفس الحرّ تحمل الظما
أثرها عن بعض ما لا يشينها مخافة أقوال العدا فيم أو اما
فأصبح عن عيب اللثيم مسلماً وقد رحت في نفس الكريم معظماً
واني اذا ما فاتني الامر لم أبت أقلب فكري إثره متندماً
ولكنه ان جاء عفواً قبلته وان مال لم أتبعه هلاً ولتاً
وأقبض خطوي عن حُظوظ كثيرة اذا لم أنلها وافرّ العرض مكرماً
واكرم نفسي أن أضاحك عابساً وأن ألقى بالمدح مذمماً
وكم طالب رقيّ بنعماه لم يصل إليه وان كان الرئيس المعظماً
وكم نعمة كانت على الحرّ نعمة وكم مغمم يعتدّه الحرّ مفرماً
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لا قيت لکن لأخدماً
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلّة ادا فاتباع الجهل قد كان أحزماً

٧٩٠ شعر الشافعي في غاية العلم وصونه [المنار: ج ١٠ م ١٨]

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
وما كل برق لاح لي يستفزني
ولكن إذا ما اضطررتي الضر لم أبت
إلى أن أرى ما لا أغصُّ بذكره
ولو عظموه في النفوس لعظما
محيّاهُ بالأطاع حتى تجها
ولا كل من في الأرض أرضاه منما
أقلبُ فكري منجدا ثم متها
إذا قلتُ قد أسدى إلي وأنما

ومما يروى عن الامام الشافعي في معنى هذا الشعر قوله :

العلمُ من شرطه لمن خدمه
وواجبٌ صونه عليه كما
فن حوى العلم ثم أودعه
وكان كالمبني البناء إذا
أن يجعل الناس كلهم خدمه
يصون في الناس عرضه ودمه
بجهله غير أهله ظلمه
تم له ما أرادَه هدمه

المراد من البيت الاول : ان من خدم العلم حق الخدمة ساد الناس وكان اماما
وقدوة لهم . وبذلك يجعلهم خدماً له باختيارهم . وانما يكون هذا في الامم الحية التي
تعرف قدر العلم وأهله . وكذلك كان المسلمون في عصر الامام الشافعي ، وهو ما نرى
مثاله في امم الافرنج اليوم على كثرة علمائهم المبرزين . وقد نهى أحد ملوكهم ولده
ان يخاطبه بتمت « الجلالة » في حضرة شاعر الفرنسي المنلق [فيكتور هيفو]

والمراد من صون العلم في البيت الثاني المفسر في البيت الثالث ان ايداعه غير
اهله هو ان تصان العلوم الكمالية التي هي فروض كفاية عن السفهاء فاسدي
الاخلاق ، فلا يلتفت هؤلاء الا ما يجب عليهم شرعاً لاداء عباداتهم وتصحيح
معاملاتهم . ثم بصرفون الى الاعمال اللائقة بهم لانهم اذا تقنوا العلوم العالية
يتخذونها ذرائع لمفاسدهم ، ويضلون الناس بحيلهم وسوء سيرتهم ، كما نرى مثاله في
رعاع الناس الذين يتعلمون ولا يتمذبون ثم يصيرون حكاماً او معلمين

وللامام شعر آخر في هذا المعنى رواه السبكي في طبقات الشافعية بسنده الى
ابي عمر العثماني قال : لما دخل الشافعي الى مصر كاهه أصحاب مالك فأنشأ يقول :

[المنار: ج ١٠ م ١٨] التعصب للأئمة - وأشعار الشافعي في مصر ٧٩١

أثر درأ بين راعية الغنم وأثر منظوما لراعية النعم
أئن كنت قد ضيبت في شربلدة فليست مضيعا بينهم غرر الكلام
فان فرج الله الكريم بلطفه وأدركت أهلا للعلوم وللحكم
بثت مفيدا أو استفدت ودادهم والافخزوت لدي ومكتم
ومن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وروي السبكي بسند آخر بيتين عن الشافعي ذكر لها سببا يدل على قدم التعصب لهؤلاء الأئمة ، فقد نقل عن الحافظ ابن منده ان الربيع قال رأيت أشهب بن عبد عبد العزيز ساجدا وهو يقول في سجوده : اللهم أمت الشافعي والا يذهب علم مالك . فبلغ الشافعي ذلك فتبسم وأنشأ يقول :

تمنى رجال أن أموت فان أمتك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تهبأ لاخرى غيرها فكان قد

ومما روي عنه من الشعر ، عند إرادة الهجرة الى مصر ، قوله : —

لقد أصبحت نفسي تتوق الى مصر ومن دونها ارض المهامه والقفقر
فوالله ما أدري اللفوز والغنى أساق اليها أم أساق الى قبري

ومن شعره الذي يذكر فيه السفر ولوازمه ما روي عن صاحبه المزني قال : قدم الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه واذا هو قد نزل منزلا والى جانبه رجل جالس وفي حجره عود ، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له : يا أبا عبد الله أنت في مثل هذا المكان ؟ فأنشأ يقول : —

وأتراني طول النوى دار غربة يجاورني من ليس مثلي يشاكله
بحامقته حتى يقال سجيبة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ويروي أحامقه مكان حامقته . ومعنى حامقته ساعدته على حقه كما قال الجوهري وابن منظور ، وأما عاقله فمعناه غالبه في العقل ، فيفهم من البيت ان الامام

٧٩٢ شعر الشافعي في الغزل والغنى والصدقة [المنار: ج ١٠ م ١٨]

كان بجاري رفيقه العواد في هوسه بضرب العود ولا يأتي هذا الا اذا كان يرى اباحته

أكثر شعر الامام الشافعي في الحكم والاخلاق ، وروي عن أبي يعقوب البوبطي أنه قال له : قلت للشافعي : قد قلت في الزهد فهل لك في الغزل شيء ؟ فأشديني ما كانت كحلك بالمنعوت للبصر
يا كاحل العين بعد النوم بالسهر
لوان عيني اليك الدهر ناظرة
جاءت وفاتي ولم أشبع من النظر
لولا التفرق والتنقيص بالسهر
سقياً لدهر مضى ما كان أطيبه
ان الرسول الذي يأتي بلا عدة
مثل السحاب الذي يأتي بلا مطر
ومن كلامه في الشكوى من الاغنياء الاغنياء البغلاء

وأنظقت الدراهم بعد صمت
فما عطفوا على أحد بفضل
أناساً بعد ان كانوا سكوتاً
ولا عرفوا لمكرمة بيوتاً
وجدير بهذا القول من عبر عن حاله بعد انفاق جميع ماله بهذين البيتين
يا لهف نفسي على مال أجود به
ان اعتذاري لمن قد جاء يسألني
على المقلين من أهل المروءات
ماليس عندي لمن احدى المصيبات

وقال في الصداقة

صديق ليس ينفع يوم بأس
وما يبني الصديق بكل عصر
قريب من عدو في القياس
أخا ثقة فأكداه التماسي
ولا الاخوان الا للتأسي
كان أناسها ليسو بناس
تكرت البلاد علي حتى

وقال في مثل ذلك

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة
ان الكلاب لتهدا في مرابضها
واننا لا نرى ممن نرى أحدا
والناس ليس بهاد شرهم أبدا
تلقى سعيدا اذا ما كنت منفردا
فأبج نفسك واستأنس بوحدتها

[المنار: ج ١٠ م ١٨] حال المسلمين اليوم وجماعة الدعوة والارشاد ٧٩٣

باب امر اسئلة والمناظرة

حال المسلمين اليوم وجماعة الدعوة والارشاد

حضرة السيد الامام العالم البصير والمصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد طرق سمعي ما وصلت اليه حال جمعية الدعوة والارشاد ومدرستها من الضعف بسبب نفاذ المال القليل الذي جمعها وبخل المسلمين . فأثر ذلك في قلبي تأثيرا محزنا لعودنا عن العمل في الوقت الذي نهضت فيه أمم العالم قاطبة . وحيث إن جبل رجائي مع ذلك لم ينقطع من ترك المسلمين لهذه الغفلة وهذا الجلود الذين أخرجوا مركزهم أشد الحرج في الهيئة الاجتماعية - رأيت أن أبعث اليكم بهذه الكلمة راجيا نشرها في مجلتكم المنيرة قياما بالنصيحة الواجبة على كل مسلم وتذكرا للمستعدين (وذكروا فإن الذِّكْرَى تنفعُ المؤمنين) :

أثى على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه أعزاء ترفرف فوقهم أجنحة الامن والسعادة ، وكانوا خيرا على أنفسهم وعلى البشر بما وضعوا من النظام القويم ، والقوانين العادلة ، وبما كانوا يقومون به من الاعمال النافعة لأنفسهم وللناس . ولا عجب فقد كانوا في ذلك متبعين أوامر دينهم الخفيف . فلما انحرفوا عنها كما هو حالهم الآن شقوا وصاروا شرا وبلاء على أنفسهم وعلى البشر ، وأصبحوا عالة على الامم الاخرى في جميع مقومات الحياة وعبرة لمن يعتبر ،

على ان أعظم ما تركه المسلمون من هداية دينهم وكان له الاثر السيئ في عامة شؤونهم هو فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » و « الدعوة الى الدين » . فقد ادّى اغفال الفرض الاول الى انتشار المنكرات والفجور بالتدريج بين المسلمين كافة ، وفسدوا الجهل فيهم بأقبح أشكاله ، وأن صار الدين غريبا عن كل أعمالهم . وهذه الاعمال أثرت فيهم أعظم تأثير بالمواظبة عليها ، وعدم وجود من يقاومها أو

(المنار: ج ١٠) (١٠٠) (المجلد الثامن عشر)

٧٩٤ عواقب ترك الدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر [المنار: ج ١٠ م ١٨]

ينكرها ، فألفتها نفوسهم واستأنست بها فكانت ملكات وتقاليد وعادات . ولم يقف الشر عند هذا الحد بل بانغ المسلمون في الامر فالتمس بعضهم نصرا من الشرع يستبيحون بها ما أحدثوا في الدين فلما أعيام ذلك تأولوا كتاب الله وسنة رسوله بغير ما يؤديان اليه وطبقوا بعض محدثاتهم عليهم ما وهمين أنفسهم والناس انهم من الدين وما هي من الدين ، وان هم الا يكذبون .

وكان من عاقبة اهمالهم الفرض الثاني انتشار الكاذب عن الدين الاسلامي وتشويه أعدائه لسمعته ، وقلبهم لحقيقته ، حتى خفيت هذه الحقيقة عن مرئيه أو المستعدين لقبوله . وقد فطنت لفوائد الدعوة الى الدين الامم المسيحية العظيمة الحية فتأنت عندهم الجمعيات ذات رؤوس الاموال الضخمة التي أوفدت رجال الدين الى مشارق الارض ومغاربها وزودتهم بالمال الوفير وعضدتهم بنفوذها فنجحت أعمالهم في نشر الدين المسيحي حتى بين المسلمين .

ألا إن البلاء الذي نزل بالمسلمين لعظيم . وما ينتظرهم منه ان لم يفتقروا من غفلتهم أعظم . وقد صاروا الآن امام أحد أمرين : إما العمل العاجل السريع ، وإما الهلاك الاكيد والسقوط المريع . ولا مخرج من هذا البلاء إلا بالاقلاع عن هذه الخطة الذميمة الضارة ، والعمل بقواعد الدين الاسلامي الذي نعتقد ان فيه فلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة . وان أعظم ما ينبغي البدء به منها انما هو قيامنا بهذين الفرضين العظيمين « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و » الدعوة الى ديننا القويم » . ولكن لذلك وسائل لا بد من إعدادها وتوفيرها في الامة . اذ انه لا يستطيع القيام بذلك الواجب إلا اناسي يتخصصون له من أفراد المسلمين يكونون واسعي الاطلاع بعلوم الدين واقفين على حقائقه ملمين بطرف من العلوم الاجتماعية والعصرية على قدر حاجتهم منها كي يمكنهم تقريب ما يريدون من اذهان مخاطبيهم على اختلاف درجاتهم في العلم والاستعداد وتباينهم في الاخلاق والمعادن . ولما كان أمثال هؤلاء لا وجود لهم الآن في الامة الاسلامية أو ما يوجد منهم ليس بالعدد الكافي - قضت الضرورة بإعداد هؤلاء الهداة اعدادا وانشأهم انشاء . وهذا ما فكر فيه استاذنا زاده الله توفيقا فأقترح تأسيس جمعية [جماعة الدعوة والارشاد

[الناشر: ج ١٠ م ١٨] تذكير المصريين بما يجب عليهم ٧٩٥

ومدرستها الجليلة وبذلك وصف الدواء لداء الأمة الدفين الذي كاد يودي بحياتها.
ان مهمة تعليم فئة من المسلمين ذلك التعليم الخاص وتربيتهم تلك التربية الدينية
المحضة بين زواج الفساد التي اكتسحت البلاد لمن الاعمال التي تتطلب كفاءة
عظيمة واستعدادا خاصا - ولكن الاستاذ الذي لا ينثني له عزم أخذ على عاتقه
القيام بانفاذ المشروع وحق للمسلمين ان يفرحوا ويتمثلوا وقد جاءهم الطبيب الماهر ،
ولكن ماذا حصل ؟

نشر المقترح دعوته بين المسلمين في انحاء المعمورة كافة فلبتها طائفة كل على
قدر استعداده وقبوله للمشروع فكان المال الذي جمع كان قليلا جدا لا يفي بجزء
ما يلزم لهذا العمل العظيم وانقبضت أيدي سائر المسلمين
وأما الاستاذ فقد بسط يده للعمل على قلة وسائله فولد المشروع وقرت برؤيته
عيون المخلصين . ولكن ذلك المولود ككل مولود حي يحتاج الى عناية وغذاء كي
ينمو ويشتد ، غير أن ضنّ المسلمين بالمال كان سببا في سريان الضعف اليه حتى
أشرف على الاضمحلال والعياذ بالله تعالى .

ولا يفوتني في هذا المقام ملاحظة التفاوت العظيم في إقبال الشعوب الاسلامية
على المشروع . فمع ان المكان الذي اختبر ليكون مقراً للجمعية ومدرستها هو مصر
فان قومي المصريين لقلّة ما ساعدوا كانوا كأنهم غير متصوّدين بالدعوة حتى انه
ليصح أن يقال مع الخجل العظيم ان الجمعية أسست والمدرسة أنشأت من أموال
غيرهم .

فأتم يا مسلمي مصر بوجه خاص أعنيكم بالمقال . انه غير خليق بكم أن تقفوا
ساكنين امام أعظم مشروع اسلامي وهو قد انشئ بينكم واحتمى بجواركم ولكم
ثمارة وشرفه قبل غيركم . ان اضمحلال هذا العمل لا قدر الله ان بسبب سمعة
المصريين كثيرا كما ان نجاحه يشرفهم ويرفع قدرهم . ففي هذه الازمة الكبرى التي
يجتازها العالم أجمع وتدوس فيها الامم الكبيرة باقدامها ظهور الامم الصغيرة أو الضعيفة
ينبغي للشعب المصري الكريم الذي آتاه الله من الاستطاعة على خدمة دينه ما لم
يؤت غيره ان يقوم بالعمل الذي ينتظره منه العالم الاسلامي الذي يهدفه في مقام الامام

٧٩٦ تعظيم شأن مشروع الدعوة والارشاد [المنار: ج ١٠ م ١٨]

المرشد وهو تمضيد هذا المشروع الذي اذا قوي وعاش سيكون باذن الله تعالى ينبوع حياة الاسلام والمسلمين واساساً لسعادتهم المستقبلية .

ان المصريين يستطيعون ان يحرزوا هذا الفخر الخالد بالتبرع بشيء من مالهم لا يضرهم انفاقه ولا يفتنهم امساكه ، ان المشروع ضروري حيوي ونجاحه يدل على حياة كامنة في جسم الامة الاسلامية طالما أنكرها ابيها محتقروها وحاسدوها كما ان مرتته لا قدر الله يشمت فينا أعداءنا ويجعلنا عرضة لهزء العالم أجمع وسخريته تقوم الامم الحية كل يوم بالاعمال العظام والمشروعات الكبرى لاغراض ثانوية أو كإلية ونجد الاموال تتدفق على القائمين بها من جيوب أهل الغيرة من أهلها فلا يمضي وقت قصير حتى توضع لها أسس وطيدة ودعائم ثابتة ويجني القريب والبعيد من أفراد الامة ثمارها ، وهذا مشروع واحد أساسي لحفظ حياتنا الدينية والمدنية ، وسلاح لدرء الخطر الذي يهدد كيان الملة الاسلامية ، ونور لمحو الظلمة التي خيمت على العقول والقلوب ، ورحمة لمنع ما حل بنا من الشقاء والخطوب . فهل يموت رضيعا وفي جيوبنا درهم ؟ وهل نستطيع بعده ان ندعي المروءة والشمم ؟ « انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم »

اي قوم ، ان المشروع كبير ولا يقوم به الا أعظم الرجال استعدادا وأبعدهم همة . ومثل هؤلاء قليل ظهورهم في الامة . وان الاستاذ صاحب الاقتراح بما هو عليه من التقوى والصلاح وما امتاز به من العلوم الشرعية وما كسبه من المعلومات الثمينة والاختبار العظيم بسياحاته العديدة في بلاد المسلمين وما وهبه الله من الاستعداد الفطري النادر المثال لا ريب انه أقدر الناس على تنفيذه على الوجه الاكمل ووضع أسسه الكفيلة ببقائه حتى يستطيع من يخلفه فيه ان يتبع خطاؤه بغير عناء .

ان الرجل ثالث ثلاثة نوابغ لم يوجد لهم نظير من عدة قرون وقد شهد الاستاذ الامام بكفائه وجعله موضع رجائه . فعلى المسلمين كافة والمصريين خاصة أن يستدركوا ما فاتهم من الانتفاع بمواهب سلفيه « جمال الدين » « ومحمد عبده » بأن لا يضيعوا الفرصة السانحة الآن . انكم ان أضعثتموها يخش أن لا تعود قبل عدة قرون . أقول وقولي هو الحق ، انه لو علم المسلمون حق العلم بقدر رجلهم الذي ضحى

[المنار: ج ١٠ م ١٨] تذكير المسلمين كافة بالبذل في سبيل الله ٧٩٧

أمواله وحياته ونفسه في سبيل مصلحتهم لغدوه بالاولاد قبل الاموال ، وبالانفس قبل الاولاد . لامراء في ان الامة الاسلامية أشد الام تأخرا في مضمار الحياتين الدينية والمدنية وهي لذلك أشدهم افتقارا للعمل . فان كنتم أيها المسلمون لا تعملون الآن فتمتعوا بعملهم ، وان لم يعجبكم مشروع امامكم الرشيد فماذا أنتم من وسائل الحياة والعمل النافع تعدون . وان كنتم مقتنعين بصلاحية المشروع فمن ذا الذي يقدر على تنفيذه كما ينبغي من بعده أفلا تذكرون ؟

أيها المسلمون ان الله غني عني وعنكم وعن العالمين . ولا يتوقف نصر حق على مساعدتنا . فالله يختار لنصرة دينه من يشاء . فان لم تكن من الوقتين ، فيوشك ان يخرج الامر من أيدينا ويوكل الله به قوما آخرين . والله غيور على دينه وحافظ له من الزوال . ولا بد ان يتم نوره ولو كره الكافرون . فظهور الدين محقق فان لم يكن على أيدينا فيكون على أيدي غيرنا « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يسبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » وما ذلك على الله بعزيز .

فمن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يضاعف له القرض ؟ ومن يسارع الى جنة عرضها السموات والارض ؟ هذا أو ان العمل فاعملوا أيها المسلمون ، وهاكم طريق الفلاح فاسلكوه لعلكم تهتدون .

يا قوم : أنذرتكم ونصحت لكم وأنا منكم ، واقع في التصبير مثلكم ، وأنا أدعوكم وادعو نفسي قبلكم ، بالتبرع بما تقدر عليه من مالي ومالكم ، لا يستقل مقل عطاء وان قل ، ولا يستكثر مكثر ما يستطيع ان يبذل . وها أنا ذا اخطو الخطوة الاولى في هذه الكرة الثانية فادفع على قلة روتي خمسة عشر جنيا مصريا بعد ان دفعت في الكرة الاولى عشرين جنيا مصريا . ابغيا ذخرا عند من خلقتي ولم أك شيئا ، فأقبلوا على تجارة لن تبور ، وهلموا الى التبرع بالقليل والكثير . وانظروا الى ما نحن فيه من المحنة ، وادرووا السيئة بالحسنة ، وأحرزوا بالقيام بتنفيذ المشروع شرفا تحفظه لكم الاجيال المقبلة فلا يضيع ، ويكون لكم عند الله خير

٧٩٨ حق أصحاب الرسائل على المجلة [المنار: ج ١٠ م ١٨]

شفيح ، يوم يقوم الناس ويحشر الجموع .
هذا وانصافا لمجلة المنار الاسلامية ؛ وتقديرا لخدمتها في سبيل الغرض المقصود
للجمعية ، ادفع اشترك خمس سنين سلفا ، وأتبرع باشتراك سنة لمن يبرز في انشاء
أحسن مقالة في أحسن فكرة اصلاحية لخدمة الاسلام والمسلمين . فسدد اللهم
أعمالنا ، وأزرنا لنا سبيلنا ، آمين
م . ن .

[المنكا]

نشكر للكاتب غيرته على دينه وملكته ، وشعبه المصري وسائر أمته، كما نشكر له
حسن ظنه فينا ، ونسأل الله ألا يجعل اطراءه فتنه لنا ، ولا مدعاة الى ترجيح ظنه
فينا على ما نعلمه من ضعفنا وعجزنا ، ونرجو ان يعذرونا اذا نحن لم تقبل منه
الاشترك عن خمس سنين سلفا فحسبه من الوفاء للمنار ماجرى عليه من دفع اشترك
كل سنة سلفا ، فهو من السابقين بالخير اشتركا وأداء

هذا— وإن الكاتب قد كان كتب مقالا قبل هذا في معناه أكثر ما فيه المبالغة
والاغراق في المدح والثناء على صاحب المنار فكان استحيائنا من نشره بل من
قراءته أقوى وأشد من استحيائنا من رده، مع يقيننا باخلاص الكاتب واعتقاده أنه
كتب بعض الحقيقة بلا خلو ولا مبالغة، وقد قلنا له إننا لانظن ان نشره يأتي بالفائدة
التي ترمي اليها ، وان كنت أحسن منا ظنا ولا بد أن تكتب في هذه الدعوى شيئا
فاجل الكلام في موضوع العمل دون مدح العامل ، — فجاءنا بهذا المقال ، فلم نر
بدا من نشره، لان ذلك من حق كاتبه علينا اذ لانصرف أحدا من الناس أشد
غيرة ، واخلاصا منه لربه ودينه وأمته، وأي دليل أدل على الغيرة والاخلاص من
بذل المال في سبيل الله ؟ وقد علمنا علم اليقين اننا لو قلنا أن نأخذ منه جميع ما بيده
لإنفاقه في مشروع الدعوة والارشاد لبذله مرتاحا ، بل طالما عرض علينا بذل ماله
ووقته فيما نراه من خدمة الدين وإقامة السنة ولكننا نعلم ان عياله أحوج الى ذلك
من مشروع لا يتوقف نجاحه على هذا المال القليل ولا يسقط بفقده ، وقد كان ما
بذله كتابة بهذه المقالة أكثر مما أثبتناه فيها فاستأذناه بتصحيحه فسكت بعد
مناقشة ومراجعة

واننا نستحسن ان نعيد بعض ما سبق لنا من الكلام في أسباب نشر بعض الرسائل والاستئلة المشتملة على الثناء وأقارب المدح لنا بنصها على خجلنا مما في بعضها من المبالغة وانتقاد كثير من الناس لنشر مثله، وأهم تلك الاسباب الامانة وبيان آراء الكتابين في الاصلاح الاسلامي والقائمين به لاهل عصرهم ولن بعدم وموافقة سلفنا الذين كانوا ينشرون مثل ذلك بنصه كما تراه في كتب الفتاوى، وكان كثير

من هذه الفتاوى ينسخ في هصور العلماء الذين كتبوها وينشر في الاقطار إن بيان ما ذكر من الاسباب لنشر ما اشتمل على المدح باب من أعظم أبواب التاريخ وأعمها فائدة، وليس هو من قبيل تدوين المدائح الشعرية في شيء، واننا نكره المدائح الشعرية المحضه، ويقابل هذا الباب في تاريخ الاصلاح باب الانتقاد وقد التزمنا نشر ما يجيئنا من الانتقاد على أقوالنا وأعمالنا حتى أننا ندعو الناس الى ذلك في منار كل عام ولم ندع أحدا قط الى المدح والتحميد وان كان من قبيل التعاون على البر والتقوى الذي يقصده صاحب هذه الرسالة

كتب الكاتب هذه الرسالة معبرا بها عن بعض ما في نفسه من وجدان واعتقاده راجيا ان يشعر بشعوره ويعتقد اعتقاده كثير من المسلمين فينبهوا بمشروع الدعوة والارشاد، ويجود كل له بما يستطيع على قدر ما آتاه الله من السعة والثروة، ولولا ذلك لما كتب حرفا. وقد نشرنا له ما كتب احتراماً لشعوره واعتقاده ولما فيه من التعاون على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف الذي تصدينا له، وليكننا لانظن أن دعوته تجاب ولا أن أمنته تصدق وان كنا من القائلين بتأثير الكلام في الجملة، وانما يكون التأثير بقدر استعداد من يقرأ الكلام ويسمعه، ولا يزال استعداد الامة الاسلامية للقيام بالاعمال الاجتماعية ضعيفا جدا، وهو في البلاد التي لها حكام من أهلها، أضغف منه في غيرها، وان كان هؤلاء الحكام صوريون لا استقلال لهم في سياسة ولا ادارة، فأرقى مسلمي الهند وبنينها هم أهل الولايات التي يتولى حكمها الانكليز بأنفسهم، وابعدهم عن الترقى والاصلاح من لهم حكام من أنفسهم، وسنين رأينا في أغنياء بلادنا وأصناف الناس في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

خاتمة السنة الثامنة عشرة للمنار

وحاله في السنة الجديدة

بحمد الله نختتم السنة الثامنة عشرة للمنار كما افتتحناها بحمده وهو هو الذي يحمد في السراء والضراء وحين البأس ، فله الحمد والشكر والثناء الحسن عودا على بدء ، فقد لطف بنا في هذه العسرة العامة ، ورحمنا في هذه الفتنة الطامة ، التي لم تصب الذين ظلموا منا خاصة ، وغاية ما أصاب ادارة المنار ومطبعتها من تأثير هذه الحرب ان قل دخلها وفقدت أكثر أصناف الورق بضعة أشهر لقلّة الوارد من أوربة ومضاعفة ثمنه أضعافا ، حتى ان هذا الجزء من المنار بدى بطبعه في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وطبع بمضيه في ربيع الآخر والكراسان الاخيران منه في شهر رجب سنة ١٣٣٤ ونحن قد كنا ابتعنا في أول سنة ١٣٣٣ ورقا يزيد عن حاجة المنار فيها بمد أن أمرنا المطبعة بأن تنقص ألف نسخة مما كان يطبع منه في مقابلة انقطاعه عن الممالك العثمانية وبعض البلاد التي تعذر ايصاله اليها ، ثم علمنا في أواخر السنة ان الورق قد نفد ، لأن الأمر بانقاص المطبوع ما نفذ ، وما ذاك الا ذهول ونسيان ، وما قدر كان ، فعهدنا الى من يجلب لنا الورق من أوربة بطاب طائفة منه فلم يصل الينا بعض ما طلبنا الا بعد بضعة أشهر ، وهو لا يكفي لاصدار عشرة أجزاء من المنار وان نقصنا من المطبوع ألف عدد أو أكثر

فنحن مضطرون لقلّة الورق وخشية انقطاع وروده كما يتوقع تجار الجلب ان نجعل كل جزء منه ثمانية كراريس (ملازم) فاذا يسر الله لنا ورقا تم السنة اثني عشر شهرا فيكون المجلد التاسع عشر كالثامن عشر ، والا جعلناها عشرة أشهر فقط ، على ان ورقها أغلى ثمننا من ورق المجلدات الكاملة

هذا وان قراء المنار في مصر يعلمون أن دخله قد انقطع من عدة ممالك تعذر ارساله اليها في زمن الحرب ، فلم يبق له مورد يمتد به الا منهم ، ويعلمون أيضا ان النفقات قد زادت ، وان كل شيء صار يشتري بالنقد ، فنرجو من مروءتهم العالية ان يتفضلوا بأداء ما عليهم من قيمة الاشتراك فيكون حل الفضل لهم باستمرار هذه الخدمة للاسلام والانسان ، وقد دفعنا هذه الحاجة الى تذكير من لم يدفعوا للمنار شيئا مما عليهم منذ عشر سنين أو أقل أو أكثر ، فمنهم من بادر الى أداء جميع ما عليه ، ومنهم من جعله أقساطا ، ومنهم من مطلق ولوى ، ومن أعرض بجانبه ونأى ، وسنبين أحوال هؤلاء الناس في المقالة التي وعدنا بها في تعليقا على الرسالة المنشورة قبل هذه الخاتمة

ولم يرد علينا في هذه السنة نقد على المنار ولا نزال نطالب القراء بان يتعاهدونا بالنصيحة ، والحمد لله أولا وآخرا